

كتاب الشعب

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
جلال عيسى

حبيب الله

تأليف الإعلامي الكبير ابن سيناء

صاحب بشرى البيان الأول بالعبور عام 1973م

حلمي البلك

رحمه الله تعالى

١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م

حبيب الله

تأليف الإعلامي الكبير ابن سيناء صاحب بشرى البيان الأول بالعبور عام 1973م

حلمي البلك

رحمه الله تعالى

المقدمة

عزيزى القارئ
هذا الكتاب الذي بين يديك هوسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أضعها بين يديك راجياً أن ينفعك الله بها، وأن يكتبها فى سجل حسناتى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
وما أحوجنا ونحن نعيش فى هذا العالم المعقد المتشابك أن نتأسى بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن نجد فى هديه ما يعيننا على أن نسلك الطريق المستقيم، ونمضى على المنهج القويم، الذى رسمه لنا النبى صلوات الله وسلامه عليه.
ولقد توقفت كثيرا عند اختيار العنوان الذي أضعه اسما لهذا الكتاب، فلم أجد خيراً من "حبيب الله" وهو الوصف الذى أطلقه الرسول على نفسه فى أحد الأحاديث المروية عنه.
وإنى لأرجو أن يتقبل الله عز وجل منى هذا العمل خالصاً لوجهه، وحباً فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أرجو أن يتقبله القارئ بقبول حسن وبالله التوفيق.
حلمى البلك

حبيب الله صلى الله عليه وسلم

جلس أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه، فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم.
عجبا إن الله عز وجل اتخذ من خلقه إبراهيم خليلاً.
بماذا أعجب من كلام موسى كلمه ربه تكليما.
وعيسى كلمة الله وروحه.
وآدم اصطفاه الله.
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نبى الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهوكذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من أحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر.
صح من طرق كثيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين لاثنتى عشرة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل فى زمن كسرى أنو شروان ويقول أصحاب التوفيقات التاريخية: إن ذلك يوافق اليوم المكمل للعشرين من شهر أغسطس سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح عليه السلام وقد ذكر القرآن الكريم فى صراحة قاطعة أن محمداً صلى الله عليه وسلم مكتوب فى كتب اليهود والنصارى بأخص أوصافه يجدونه فيها باسمه أحمد ويجدون أصول رسالته ودعائم شريعته.. " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)"الأعراف
و" وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) " (الصف ٦)
تحكى لنا الروايات ذات المصادر الموثوقة كيف حدث الأحبار والرهبان عن مولد النبي صلى الله عليه وسلم وزمان ميلاه وعن بعض خصائصه وصفاته ومن ذلك ما رواه البيهقي وأبو نعيم عن حسان بن ثابت قوله: إنى لغلام ابن سبع سنين أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت إذا بيهودى يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود فاجتمعوا إليه فقالوا : ويلك، ما لك فقال: لقد طلع نجم أحمد الذى يولد به فى هذه الليلة.

وروى الحافظ أبو نعيم فى دلائل النبوة عن مالك بن سنان: جئت عبد الأشهل يوما لأتحدث فيهم ونحن فى هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودى يقول: أظل خروج نبى يقال له أحمد، يخرج من الحرم، فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى كالمستهزئ به: ما صفته؟ . فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، فى عينيه حمرة، ويلبس الشملة، ويركب البعير، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مهاجره فرجعت إلى قومى وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلاً منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟ كل يهود يثرب يقولون هذا. فخرجت حتى جئت بنى قريظة، فأجد جمعاً يتذاكرون النبى صلى الله عليه وسلم، فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبى أو ظهوره، ولم يبق إلا أحمد وهذا مهاجره

لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل به جده عبد المطلب الكعبة ودعا له وقال وهو يعوذه.

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الأركان
أعيذه من كل ذى شنآن من حاسد مضطرب العنان

ولما كان اليوم السابع لميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذبح عنه جده عبد المطلب ودعا له قريشاً، فلما أكلوا. . قالوا: يا عبد المطلب ما سميت ابنك؟ فقال: سميته محمداً. . قيل له: كيف سميت باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟.. فقال: إنى لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم..

وكان عبد المطلب قد رأى فى منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف فى السماء وطرف، فى الأرض وطرف في الشرق؛ وطرف فى الغرب ثم عادت كأنها شجرة ، على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها وفسرت تلك الرؤيا لعبد المطلب بمولود يكون من صلبه ، يتبعه أهل الشرق والغرب ويحمده أهل السماء والأرض ولذلك يماه محمدا.

وكان أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم يقول:

وشق له من اسمه ليجله فذوالعرش محمود وهذا محمد

خرج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة إلى أمه، فدفعه إليها، والتمس الرضعاء، فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبى ذؤيب، وكان زوجها يدعى الحارث بن عبد العزى وقد أسلم الحارث على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قدم الحارث على الرسول بمكة حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش: ألا تسمع يا حارث ما يقول ابنك هذا؟.

قال : وما يقول؟

- قالوا: يزعم أن الله يبعث بعد الموت وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه ولقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا.

عندئذ ذهب الحارث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أى بنى. .
مالك ولقومك يشكونك، ويزعمون أنك تقول إن الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون إلى جنة ونار؟.
فقال له صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم.
وهنا أسلم الحارث وحسن إسلامه بعد ذلك وكان يقول حين أسلم: لو قد أخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلنى الجنة.
تحكى حليمة قصة إرضاعها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأته من الخير بسبب ذلك فتقول: فى سنة شهباء، لم تبق لنا شيئا ومعنا شارف لا تبض بقطرة، وصبى لا ننام من بكائه، ما فى ثديى ولا فى شارفنا ما يغنيه من لبن، فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه، إنما كنا نرجو كرامة رضاعة من والد المولود، وكان يتيماً، وكنا نقول: ما عسى أن تصنع أمه.
حتى لم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبيا غيرى: وكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئا فقلت لزوجي:ولله لأرجعن إلى ذلك المولود فلأخذنه فأتيته فأخذته، فرجعت إلى رحلى.. فقال زوجى: قد أخذتيه؟ أصبت، فعسى الله أن يجعل فيه خيراً. فوالله ما هو إلا أن جعلته فى حجرى، فأقبل عليه ثديى بما شاء الله من اللبن فشرب حتى روى وقام زوجى إلى شارفنا من الليل فإذا هى حافل، فحلب لنا ما شئنا فشرب وشربت حتى روينا ، فبتنا ليلتنا تلك بخير شباعا رواة ونام صبياننا فيقول زوجى: والله يا حليمة ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة.
وتمضى حليمة تحكى قصة شق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول: بينما هو يلعب وأخوه يوما خلف البيوت يرعيان بهما لنا إذ جاءنا أخوه يشتد فقال: أدركى أخى القرشي قد جاء رجلان فأضجعاه فشقا بطنه.
فخرجنا نحوه نشتد فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه، فاعتنقه أبوه واعتنقته ثم قلنا: مالك أى بنى؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أتانى رجلان عليهما ثياب بيضاء فأضجعانى، ثم شقا بطنى فوالله ما أدرى ما صنعا.
فاحتملناه فرجعنا به فيقول أبوه: والله يا حليمة ما أرى هذا الغلام إلا قد أصيب، فانطلقى فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف عليه.
فرجعنا به إليها فقالت: ما ردكما به وقد كنتما حريصين عليه؟ فقلت: لاوالله إنا كفلناه وأدينا الحق الذى يجب علينا فيه، ثم تخوفت الأحداث عليه فقلنا يكون فى أمه، فقالت أمه: والله ماذا بكما فأخبرانى خبركما وخبره، فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره فقالت: والله إن لابنى هذا لشأنا ألا أخبركما عنه؟ إنى حملت به فلم أر حملاً كان أخف ولا أعظم بركة منه ثم رأيت نوراً كأنه شهاب خرج منى حين وضعته أضاءت لى أعناق الإبل ببصرى ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان وقع واضعا يديه على الأرض رافعا رأسه إلى السماء، دعاه والحقا بشأنكما.

ولم تر حليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إلا مرتين إحداهما بعد تزوجه خديجة رضى الله عنها حيث جاءته تشكوإليه من أن قومها قد أجدبوا فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأسا من الغنم والمرة الثانية يوم حنين، حين قام إليها الرسول ·· وبسط لها رداءه فجلست عليه.
ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بني عدي ابن النجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه ، وهم على بعيرين فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب، ودفنت هناك ثم رجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما وكانت تحتضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت وكانت أم أيمن دايته وحاضنته بعد موت أمه، وكان عليه الصلاة والسلام يقول لها : أنت أمى بعد موت أمى.
وتروى أم أيمن سبب رجوع آمنة بابنها محمد من المدينة فتقول: جاءنى ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لى: أخرجى إلينا أحمد ننظر إليه فنظرا إليه وقلباه، فقال أحدهما لصاحبه: هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته وسيكون بها من القتل والسبى أمر عظيم فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به، فماتت بالأبواء وهي راجعة.
لما توفيت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام وكان يوضع لعبد المطلمب فراش فى ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج إليه ولا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهوغلام حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: "دعوا ابنى فوالله إن له لشأناً". ثم يمسح عبد المطلب على ظهر محمد ويجلسه على فراشه مسروراً بما يراه يصنع، وكان عبد المطلب يقول لأم أيمن حاضنة الرسول: "يا بركة لا تغفلى عن ابني، فإنى وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نبى هذه الأمة"، وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول على بابنى. عندئذ يأتى به إليه.
ولما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين مات عبد امطلب ودفن بالحجون وفى ذلك تقول أم أيمن حاضنة الرسول: "رأيت رسول الله يومئذ يبكى خلف سرير عبد المطلب".
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده عبد المطلب مع عمه أبى طالب لوصية عبد المطلب له به، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحب رسول الله حبا شديدا لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرجِ معه وكان أبو طالب يخصهِ بالطعام، وكان إذا أكل عيال أبي طالب

جميعا أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شبعوا فكان أبو طالب يقول له إنك لمبارك .
ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر اثنتى عشرة سنة، خرج أبو طالب فى ركب تاجر إلى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير، صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب وقال: "والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى، ولا أفارقه أبداً ".
وخرج محمد مع عمه أبى طالب إلى الشام فى أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب بحيرا هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم فجاء الراهب وهم يحلون رحالهم فسار يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم وقال "هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين" فقال له أشياخ قريش "ما علمك بهذا ؟ ". قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبى، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ووضع الراهب لهم طعاما، وناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم فإنهم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه وقال لهم. " أنشدكم الله أيكم وليه؟ ".
فقالوا له: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب، وزوده الراهب من الكعك والزيت.
شب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعايبها لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أنه كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما، ما رؤى ملاحيا ولا مماريا أحداً، حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.
حج أكثم بن صيفي حكيم العرب والنبى صلى الله عليه وسلم فى سن الحلم، فرآه أكثم فقال لأبى طالب: ما أسرع ما شب أخوك.
أبو طالب: ليس بأخى ولكنه ابن أخى عبد الله.
أكثم: أهو ابن الذبيحين؟
قال أبو طالب: نعم.
فجعل أكثم يتوسم النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال لأبى طالب: ما تظنون به؟
قال أبو طالب: نحسن به الظن وإنه لوفي سخي.
قال أكثم : هل غير هذا؟
قال أبو طالب: نعم إنه لذو شدة ولين ومجلس ركين وفضل متين.
سأل أ كثم: فهل غير هذا ؟
قال أبو طالب: إنا لنتيمن بمشهده ونتعرف البركة فيما لمسه بيده.

قال أكثم: أقول غير هذا.. إنه ليضرب العرب قامطة، بيد حائطة ورجل لائطة، ثم ينعق بهم إلى مرتع مريع، وورد سريع، فمن اخرورط إليه هداه، ومن احرورف عنه أرداه.
عن على رضى اله تعالى عنه قال: قيل للنبى صلى الله عليه وسلم: هل عبدت وثناً قط؟ قال: لا قالوا: فهل شربت خمراً قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف أن الذى هم عليه كفر، وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الإيمان.
وعن أم أيمن رضى الله تعالى عنها قالت: كان بوانة صنما تحضره قريش يوما فى السنة، فكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك معه فيأبى، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبن عليه وقلن له: يا محمد ما تريد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعا.
فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعاً فقالت عماته: ما دهاك؟

فقال: إنى أخشى أن يكون بى لمم.
فبقلن له: ما كان الله يبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذى رأيت؟
فقال ٠: رأيت أنى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى وراءك يا محمد، لا تمسه.
وتكمل أم أيمن الحديث فتقول: فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبأ (أى أصبح نبيا) .
حفظ الله تعالى رسوله عله فى شبابه من نزعات الشباب ودواعيه البريئة التى تنزع إلى الشبوبية بطبعها ولكن لا تلائم وقار الهداة وجلال المرشدين وكان صلى الله عليه وسلم مع تساميه عن دنس الجاهلية ومعابها يشارك قومه فى أعمال الخير والمكرمات، وكان كلما تقدمت به سنه واقترب من كمال الرجولة ورأى ما عليه قومه من ضلالة الوثنية زاد انطواء على نفسه وفر من المجتمعات إلى الانفراد والعزلة كراهة لحياتهم وفراراً من أقذارهم وسقطاتهم يقول ابن كثير: كان رسول الله ي يحب الخلاء والانفراد عن قومه لما يراه عليهم من الضلال امبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه صلوات الله وسلامه عليه.
ويقول ابن إسحق: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء فى كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه وهكذا كانت نشأة محمد صلى الله عليه وسلم منذ أن ولدته أمه إلى أن بعثه الله رحمة للعالمين، أكمل نشأة، تولاه الله تعالى فأدبه، ورباه فكمله ورعاه فحفظه مما كان يغمر حياة قومه من وثنية وعادات مسترزلة، حتى غدا أكمل إنسان، لم يستطع أحد أن يريبه فى حياته أويصم شباه بغميزة أوريبة على كثرة الخصوم والأعداء والمتربصين فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم. .
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ٠: ما بعث الله نبيا إلا راعى غنم، فقال له أصحابه: وأنت يارسول الله؟ قال: وأنا، رعيتها لأهل مكة بالقراريط.
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: بعث موسى وهو راعى غنم، وبعث داود وهو راعى غنم، وبعثت وأنا راعى غنم لأهلى بأجياد.
ولو أننا تساءلنا : ما الحكمة فى إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة نجد الحافظ يقول: الحكمة فى إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة أن يحل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن فى مخالطتهم ما يحصل لهم الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها فى المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبرعلى الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، ورفقوا بضعيفها فجبروا كسرها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لوكلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما تحصل لهم من التدرج على

ذلك يرعى الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل أو البقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها فى العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها ، وفى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله، ما كان عليه من عظيم التواضع لربه، والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.
لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر خمسا وعشرين سنة، وليس له بمكة اسم إلا الأمين لما تكامل فيه من خصال الخير قال له عمه أبو طالب: يا إبن أخى، أنا رجل لا مال لى، وقد اشتد الزمان علينا، وألحت علينا سنون منكرة، وليست لنا مادة ولا تجارة، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وأخاف عليك بنى يهود ولكن لانجد من ذلك بداً. وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك فى عير لها فيتجرون لها فى مالها فيصيبون منافع، فلو جئتها وعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك، لما بلغها عنك من طهارتك، وإن كنت أكره أن تأتى الشام، وأخاف عليك من يهود عندئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب: لعلها ترسل إلى فى ذلك.
فرد عليه عمه: إنى أخاف أن تولى غيرك.
ولما بلغ خديجة ما كان من محاورة عم محمد له، وكان قبل ذلك قد بلغها صدق حديثه وعظيم أمانته، وكرم أخلاقه، قالت خديجة: ما علمت أنه يريد ذلك، ثم أرسلت إليه، فقالت: إنه دعانى إلى البعث إليك ما بلغنى من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لقى عمه أبا طالب فذكر له ذلك، فقال له عمه: إن هذا لرزق ساقه الله إليك.
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها قاصداً الشام، وقالت خديجة لميسرة: لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأياً. وجعل عمومته يوصون به أهل العير. حتى قدم الشام فنزلا فى سوق بصرى فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له (نسطورا) ، فنظر الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه فقال: يا ميسرة من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة؟
قال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم.
فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى، أفى عينيه حمرة؟
قال ميسرة: نعم لا تفارقه.
فقال الراهب: هو هو، وهو آخر الأنبيا ء ويا ليت أنى أدركه حين يؤمر بالخروج ثم دنا الراهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدميه وقال له: آمنت بك، وأنا أشهد أنك الذى ذكره الله فى التوراة، يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها خلا خصلة واحدة فأوضح لى عن كتفك. فأوضح له محمد فإذا هو بخاتم النبوة فأقبل عليه يقبله

ويقول: أشهد أن لا إله إلا اله، وأشهد أنك رسول الله النبى الأمى الذى بشر بك عيسى بن مريم فإنه قال: لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة إلا النبى الأمى الهاشمى العربى المكى، صاحب الحوض والشفاعة، وصاحب لواء الحمد.
حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها واشترى، فكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة فقال الرجل: احلف باللات والعزى.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حلفت بهما قط.
فقال الرجل: القول قولك٠
ثم خلا الرجل إلى ميسرة وقال له: يا ميسرة هذا نبى هذه الأمة، والذى نفسى بيده إنه لهو، تجده أحبارنا منعوتاً فى كتبهم.
ثم انصرف أهل العير جميعاً، وكان ميسرة يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره، وكان الله تعالى قد ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة من ميسرة، فكأنه عبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وميسرة قد باعا متاعهما وربحا ربحا لم يربحوا مثله قط فقال له ميسرة: يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سنة ما رأيت ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك!!
ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأت خديجة أن تجارتها قد ربحت، أضعفت له ما سمت، وكانت قد ذكرت لورقة بن نوفل وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس، ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الرأهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه.
قال ورقة: يا خديجة إن محمدا لنبى هذه الأمة، وقدعرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر، هذا زمانه.
بعد ما لمسته خديجة من محمد وما سمعته من ميسرة ومن ورقة بن نوفل عرضت نفسها على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، وهى يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالاً وقد أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه أبو طالب الذى خطب يومئذ فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضيئ معد وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا ترجح به شرفا ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان فى المال قلاً فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، وقد

خطب إليكم رغبة فى كريمتكم خديجة، وقد بذل لها من الصداق حكمكم عاجله وآجله ااثنتا عشرة أوقية (ونشا) أى ونصف.
فقال ورقة بن نوفل وكان حاضرا : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله.
وسكت ورقة بن نوفل، فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشركها عمها.
فقال عمرو بن أسد: اشهدوا على يا معشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد.
فرحت خديجة بزواجها فرحا شديد، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها ذهب ليخرج فقالت له: إلى أين يا محمد، اذهب وانحر جزورا أو جزورين وأطعم الناس، ففعل. وأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف، وقالت لزوجها: مر عمك ينحر بكرا من بكراتك، وأطعم الناس، وهلم فقم مع أهلك وأطعم الناس: وقد فرح عمه أبو طالب فرحا شديداً وقال: الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم.
وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجر فى مال زوجه خديجة، وبقى طوال المدة التى تقع بين زواجه وبعثته يتسبب لمعاشه بالتجارة، ويباشرها بنفسه فى الأسواق الداخلية، ويؤجر عليها أهل المعرفة فى الرحلات الخارجية إلى اليمن أو الشام.

إعادة بناء الكعبة

كانت الكعبة قبل أن يعمر ما حولها بالبنيان عرضة لجوارف السيل، فخافت قريش على البيت أن تهدمه السيول، فأقامت ردما من حوله، لكن السيول كانت تأتى من فوق هذا الردم حتى كادت تزيله، وكانت تعلوه حتى تدخل البيت، فتصدع وخافوا أن ينهدم، فاجتمعت قريش واتفقت على بنائه.
ولما تم هدم البناء القديم مع الإبقاء على القواعد، جمعت القبائل من قريش الحجارة لبناء الكعبة ، كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاجتمعوا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى كاد الأمر يصل بينهم إلى حد القتال، ثم إنهم اجتمعوا بعد ذلك للتشاور فى الأمر، وكان حاضراً أبو أمية بن المغيرة وكان أسن قريش كلها فقال لهم: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم.
فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضيناه، هذا محمد.
فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال صلى الله عليه وسلم : هلم إلى ثوبا.
فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا. ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه فوضعه بيده ثم بنى عليه.
كان العالم قبل بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى حيرة شاملة واضطراب شمل جميع نواحيه، وسيطرت الفوضى على كل شىء فيه، وكان الأمر كذلك فى الجزيرة العربية. الضعيف يخضع لنداء القوى. فلا عدل يوقف الجائرين عند حد ويقتص للضعيف من القوى، ولا إنصاف يضع حدا للمظالم والطغيان.
وفى أمور العبادة اتخذت قريش صنماً على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل، واتخذوا (إسافا) و (نائلة) على موضع زمزم ينحرون عندهما، واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه من دون الله، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، فإذا قدم من سفره تمسح به فكان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله.
ومع ذلك فقد كان هناك من يرفض عقله عبادة الأصنام، وأخذ يتلمس وجه الحق، مثل ذلك ما روته أسماء بنت أبى بكر إذ قالت: رأيت زيد بن عمرو شيخا كبيراً مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول: يا معشر قريش، والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه.

وكان زيد بن عمرو يحى الموؤودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها.
وروى أن زيد بن عمرو خرج يطلب دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويسأل الرهبان حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها. ثم أقبل إلى الشام حتى انتهى إلى راهب كان ينتهى إليه علم النصرانية فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال الراهب: إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق أنه مبعوث الآن فهذا زمانه فانطلق زيد وهو يقول:
اللهم اشهد أنى على دين إبراهيم.
لبيك حقا حقا، تعبدا ورقا.
ولزيد بن عمرو عدة قصائد فى التوحيد منها قوله:
أربا واحدا أم ألف رب أدين، إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى عمرو أزور
عجبت وفى الليل معجبات وفى الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالاً كشيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم فيربل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما كما يتروح الغصن النضير
ولكن أعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور
على أن زيد بن عمرو مات قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده
كان من بين الذى بشروا بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وحث الناس على اتباعه قبل البعثة قس بن ساعدة. وقد روى أن وفد إياد لما قدموا على النبى يبه وأسلموا، سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة فقالوا : يارسول الله مات، فقال: كأنى أنظر إليه فى سوق عكاظ على جمل أحمر أورق وهو يقول كلاماً ما أرانى أحفظه.
فقال بعض القوم: نحن نحفظه يا رسول الله
فقال عليه الصلاة والسلام: هاتوا..
فقال قائلهم: قال أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جميع وأشتات، وآيات بعد آيات، إن فى السماء لخبرا وإن فى الأرض لعبرا، ليل داج، وسماء ذات فجاج، وبحار ذات أمواج. ما لى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ، أقسم قس قسما حقا لا حانثاً فيه ولا آثما ، إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم

الذى أنتم عليه، ونبيا خاتما حان حينه، وأظلكم أوانه، وأدرككم إبانه، فطوبى لمن آمن به فهداه، وويل لمن خالفه وعصاه.
تبا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية، والقرون الماضية يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد ، وأين المريض والعواد ، وأين الفراعنة الشداد ، أين من بنى وشيد، وزخرف ونجد، وغره المال والولد، أين من بغى وطغى، وجمع فأوعى، وقال: أنا ربكم الأعلى، ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً وأولادا ؟ وأبعد منكم آمالأ، وأطول منكم آجالأ؟. طحنهم الثرى بكلكله، ومزقهم الدهر بتطاوله، فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خالية. عمرتها الذئاب العاوية. كلا بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود.
ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لوفد إياد : فأيكم يروى شعره ٠ فأنشد أحدهم يقول:
فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها نغى الأهام واصر
لا يرجع الماضى إلى ولا من البساقين غابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر
ومما يروى عن قس بن ساعدة أنه كان يخطب قومه فى سوق عكاظ فقال وهو يشير بيده إلى نحومكة ويقول: سيعمكم حق من هذا الوجه فقالو له: ما هذا الحق؟ فقال: رجل أبلج أحور من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد، فإن دعاكم فأجيبوه، ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه لكنت أول من سعى إليه.
وقد قيل: إن قس بن ساعدة عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة، وهو أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية، وأول من اتكأ على عصا فى الخطبة، وأول من قال أما بعد، وأول من كتب من فلان إلى فلان.
يروى أن أبا ثور عمرو بن معدى كرب قال: والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث. .
فقيل له: وكيف ذاك؟.
قال: فزعنا إلى كاهن لنا فى أمر نزل بنا، فقال الكاهن: أقسم بالسماء ذات الأبراج، والأرض ذات الأدراج، والريح ذات العجاج، إن هذا لإمراج ولقاح ذو نتاج. قال عمرو: ومانتاجه؟
فأجاب الكاهن: ظهور نبى صادق، بكتاب ناطق، وحسام ذالق.
قال عمرو: أين يظهر وإلام يدعو؟
قال الكاهن: يظهر بصلاح ويدعو إلى فلاح، ويعطل الأقداح، وينهى عن الرآح والسفاح، وعن كل أمر قباح.
قال عمرو: ممن هو؟

أجاب الكاهن: من ولد الشيخ الأكرم، حافر زمزم ومطعم الطير المحوم، والسباع الضرم.
قال: وما اسمه ؟
قال الكاهن: محمد ، وعزه سرمد وخصمه مكمد

بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين فمكث ثلاث عشرة، ثم أمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين وعن أبى قتادة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: ذاك يوم ولدت فيه وأنزل على فيه.
وقال ابن كثير: إنه بعث صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان لقوله تعالى: " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن "
فقد كا ن المولى سبحانه وتعالى يعد محمداً خلال فترة ما قبل البعثه إلى تلك المهمة الجليلة، على أن نزول الوحى على محمد لم يأت بغير مقدمات.
ففى حديث للسيدة عاشة تقول رضى الله عنها : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.
روى عن الزهرى قال: بلغنا أن أول ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أراه رؤيا فشق ذلك عليه فذكرها لخديجة.
فماذا قالت له خديجة؟
قالت له: أبشر فإن الله لن يصنع بك إلا الخير
وذات مرة قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خديجة إنى أرى ضوء وأسمع صوتا، لقد خشيت أن أكون كاهناً، فقالت له: إن الله تعالى لا يفعل ذلك بك، إنك تصدق الحديث، وتؤدى الأمانة، وتصل الرحم.
بعض الروايات تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتا ويفضى إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحداً.
وورد فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنى لأعرف حجرا كان يسلم على قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن ويحكى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان نزول الوحى عليه فى أول مرة فيقول: إنى إذا خلوت وحدى أرى ضوءاً وأسمع نداء، يا محمد أنا جبريل وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا. فقالت خديجة: معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك إنك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل فيذكر له ما يسمع.
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفي ، يا محمد أنا جبريل فأنطلق هارباً، فقال له ورقة: سبوح، وما لجبريل يذكر فى

هذه الأرض التى يعبد فيها الأوثان، جبريل آمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رسله، لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتنى فخبرنى.
ولكن كيف تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما اتصل به جبريل بعد ذلك؟ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع السلام عليكم فظنها الرسول صلى الله عليه وسلم فجأة الجن، فجاء مسرعا حتى دخل على خديجة، فقالت له: ما شأنك فأخبرها، فقالت: أبشر فإن السلام خير.
ولكن ماذا حدث فى المرة التالية؟
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن خرج مرة أخرى إلى حراء: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول. يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء فرفعت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه في آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا وما أتقدم وما أتأخر ورائى حتى بعثت خديجة برسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ثم انصرفت راجعاً إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إليها فقالت: ياأبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلى. ثم حدثتها بالذى رأيت فقالت: أبشر يا ابن العم واثبت، فوالذى نفسى بيده إنى أرجو أن تكون نبى هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته بما أخبرتها به فقال ورقة: قدوس قدوس! والذى نفسى بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت.
بعد أن سمعت خديجة من ورقة بن نوفل من أن محمدا هو نبى هذه الأمت ماذا فعلت خديجة؟
رجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة، انصرف رسول الله حج قاصدا حراء للتعبد، وكان من عادته أن يطوف بالكعبة قبل أن يذهب إلى حراء، فبدأ بالكعبة وطاف فلقيه ورقة بن نوفل فبادره يقوله: يا بن أأخي أخبرنب بما رأيت وسمعت، فأخبره فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبن ولتقاتلن ولتؤذين ولئن أدركت ذلك لأنصرن الله نصراً يعلمه ثم أدنى ورقة رأس محمد منه وقبله.

كيف بدا نزول القرآن على محمد؟

يقول البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه: عرض جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة السبت وليلة الأحد، ثم أتاه بالرسالة ليلة الاثنين وهو فى غار حراء وبشره جبريل برسالة ربه حتى اطمأن النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال له: اقرأ قال: ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم.
ولكن هل ظل جبريل يملى عليه بقية آيات هذه السورة التى تقول كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى إلى آخر آيات هذه السورة الكريمة؟ الذى نزل أولاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قوله تعالى من أول اقرأ ، حتى قوله تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) ، أما بقية السورة فقد نزل بعد ذلك.
وماذافعل الرسول وكيف كان حاله؟
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ترجف بوادره لا يلقاه حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فرجع إلى بيته وقد أيقن أنه فاز فوزا عظيما فدخل على خديجة وقال: زملونى، زملونى فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لها: أرأيت الذى كنت أخبرتك أنى رأيته فى المنام؟
إنه جبريل استعلن لى، أرسله إلى ربى وأخبرها الخبر وقال: لقد خشيت على نفسى فقالت له خديجة: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتقرى الضيف، وتصدق الحديث، وتؤدى الأمانة، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، فاقبل الذى جاءك من الله فإنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقا.
ما أعظم السيدة خديجة وكم كان دورها جليلاً فى تثبيت فؤاد النبى صلى الله عليه وسلم وكم كان قدرها جليلاً عند النبى صلى الله عليه وسلم إن خديجة ما إن سمعت من النبى ذلك الذى قصه عليها من نزول جبريل عليه بالوحي حتى انطلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى إلى ابن عمها بن نوفل وقالت له : يا بن عم ، اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة: أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم. هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى وإنك لنبى وستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك.
هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أومخرجى هم؟
فقال له ورقة: نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى.
تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: إنه كان يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علِى راحلته فتضرب بجرانها فما تستطيع أن تتحرك حتى

يسرى عنه، وبعد أن انتهت السيدة عائشة رضى الله عنها من حديثها تلت الآيه الكريمة .
" إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا " المزمل 5 . هكذا كان يعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ينزل الوحي عليه، فالله سبحانه وتعالى يقول مخاطبا النبى عيلة "إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً". ولكن لماذا وصفه الله سبحانه وتعالى بكلمة ثقيلاً؟
إنه لضعف قوى البشر عن تحمل مثل ذلك الوارد العظيم من ذلك الجناب الجليل وقد نسأل:
ما معنى قول السيدة عاشة: إن راحلة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تضرب بجرانها عندما ينزل عليه الوحى وهو على راحلته؟
والجواب هو أن الجران: هو باطن العنق، والمعنى أنها كانت تفعل ذلك لشدة الوحى وثقله. والأحاديث والروايات التى تتحدث عن شدة الوحي وثقله كثيرة تقول السيدة عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحى يغط فى رأسه ويتربد وجهه، ويجد برد فى ثناياه حتى لينحدر منه مثل الجمان. (أى اللؤلؤ).
قبل أن نسترسل مع حديث السيدة عائشة نتوقف عند بعض الكلمات التى تحتاج تفسيراً . فماذا يعنى قوله يغط فى رأسه؟
الغطيط هو صوت يخرج من نفس النائم، والتربد هو كمودة فى اللون: أى غبرة فى سواد. تقول السيدة عائشة رضى الله عنها أيضاً: لقد رأيته (تعنى النبى صلى الله عليه وسلم) ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا.
ويقول ابن عمر رضى الله عنهما - سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحى؟ فقال رسول الله ◌: أسمع صلاصل، ثم أسكت عن ذلك فما مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تقبض.
ويصف عبادة بن الصامت رضى الله عنه حال الرسول عند نزول الوحى فيقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد وغمض عينيه.
أما أبوهريرة رضى الله عنه فيقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه لم يستطع أحد منا أن يرفع طرفه إليه حتى يقضى الوحى.
وتروى أسماء بنت يزيد رضى الله تعالى عنها.. فتقول: كنت آخذ بزمام ناقة رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت عليه سورة المائدة فكاد ينكسر عضدها من ثقل السورة. ويقول ابن عمر رضى الله عنهما. أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

" (المائدة)

فتور الوحى

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت. فترالوحى فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى تفسه منه، تبدى له جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له مثل ذلك.
يبين من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها مدى ما ألم برسول الله صلى الله عليه وسلم عندما فتر عنه الوحى فترة من الزمن فما هى الحكمة من فتور الوحى خلال تلك الفترة؟
والحكمة، والله أعلم، أن المولى سبحانه وتعالى أراد أن يذهب عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجده من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود.
وقد اختلف فى مقدار فترة انقطاع الوحى فقال البعض: إنها كانت سنتين ونصف سنة، وقال البعض: إنها كانت أربعين يوما وقيل أقل من ذلك.
ولكن كيف كانت عودة الوحى ؟
روى فى هذا الشأن حديث عن جابر رضى الله عنه يقول فيه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى، قال: فبينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السما ء والأرض فجثيت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلى فقلت: زملونى زملونى فأنزل الله (قم فأنذر، وربك فكبر، وثيا بك فطهر والرجز فاهجر).
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أمر به، على ما يلقى من قومه من الخلاق والأذى وكان أول من أسلم من الرجال:

أبو بكر الصديق. ومن النسا ء : خديجة زوجته رضي الله عنها.
ومن الصبيان: على بن أبى طالب. ومن الموالى: مولاه زيد بن حارثة.
ومن العبيد: بلال رضى الله عنه.
كات خديجة عونا للرسول صلى الله عليه وسلم ومخففة لا يلقاه من عنت كان عليه الصلاة والسلام
لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ..
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله هذه خديجة، قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت فى الجنة لا صخب فيه ولا نصب.
وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد.

إسلام أبى بكر

ويشدنا ذكر أوائل المسلمين إلى أن نتعرف على قصة إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه.
لقى أبو بكر الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا ؟
فقال صلى الله عليه وسلم: بلى إنى رسول الله ونبيه، بعثنى لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته، وقرأ عليه القرآن: فلم ينكر أبو بكر وكفر بالأصنام وخلع الأنداد، وأقر بحق الإسلام ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق.
ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر، ما عكم عنه حين ذكرته ولا تردد فيه.
يقول شاعر الإسلام المخضرم حسان بن ثابت فى أبى بكر الصديق:
إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة. فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأفضلها بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا
كان مم أنعم الله على علي بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ولما أراد الله به من الخير . ذلك أن قريشا

أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه وكان من أيسر بنى هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق فخفف عنه من عياله.
فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.
فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما.
فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه إليه وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى بعثه الله نبياً، فاتبعه وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

كيف أسلم علي؟

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته خديجة يصليان سراً، فجاءهما على بن أبى طالب يوما فوجدهما يصليان فقال على: ما هذا يا محمد؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وكفر باللات والعزى.
. فقال على: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب. . كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره.. فقال له: يا على إذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث على تلك الليلة، ثم إن الله تبارك وتعالى أوقع فى قلب على الاسلام فأصبح غاديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال: ماذا عرضت على يا محمد ٢
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد ٠٠ ففعل على رضى الله عنه وأسلم، ومكث على يأتيه على خوف من أبى طالب، وكتم إسلامه ولم يظهره.
ونعرف جميعا أن أبا طالب كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا جما وكان رسول الله يحبه أيضا لكن هذا الحب المتبادل لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطلب من على أن يكتم أمره ولم يمنع علياً من أن يكتم إسلامه عن أبيه.
ترى ماذا كان موقف أبى طالب عندما علم برسالة النبى وبإسلام على؟.
بقى الأمر سراً فترة من الزمن، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه على بن أبى طالب. مستخفيا من أبى طالب ومن جميع أعمامه، وسائر قومه فيصليان الصلاة، فإذا أمسيا رجعا، ومكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا.

ذات يوم عثر أبو طالب عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخى ما هذا الذى تدين به؟
فقال له الرسول: أى عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم بعثنى الله به رسولاً إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجانى إليه وأعاننى عليه.
فقال أبو طالب: أى ابن أخى إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك شى ء تكرهم ما بقيت.
وقال لعلى: أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه؟.
فقال على: يا أبت آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقت بما جاء به وصليت معه.
فقال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.
كان على حين أسلم لم يتجاوز العاشرة على جميع الروايات. فقد قال الكلبى: أسلم على وهو ابن تسع سنين، وقال الواقدى وابن إسحق: إنه أسلم وهو ابن عشر سنين.
توالى دخول الأفراد فى الإسلام وأصبح عدد المسلمين يتزايد يوماً بعد يوم لينصروا دين الله الحق، وينصروا رسوله الكريم.

اسلام حمزة

ولنتعرف الآن على قصة إسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم . تلك قصة طريفة جديرة بأن تروى فقد اعترض أبو جهل رسول إلله صلى الله عليه وسلم عند الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه فذكر ذلك لحمزة فخرج يسعى لم يقف على أحد معدا لأبى جهل إذا لقيه أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه بها شجة منكرة فقال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول، فرد على ذلك إن استطعت.
فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل.. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإنى، والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.
ورجع حمزة إلى بيته فقال محدثا نفسه: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك؟
للموت خير لك مما صنعت. . اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه فى قلبى، وإلا فاجعل لى بما وقعت فيه مخرجا.
وبات ليلة لم يبت مثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح، فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخى إنى قد وقعت فى أمر لا أعرف المخرج فيه، وإقامة مثلى على ما أدرى ما هو، أرشد هو أم غى شديد، فحدثنى حديثاً، فقد اشتهيت يا ابن أخى أن تحدثنى.
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فذكره ووعظه وخوفه، فألقى الله تعالى فى قلبه الإيمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد إنك لصادق فاظهر يا ابن أخى دينك، فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء وأنى على دينى الأول.
وبقى حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله، وقد كان حمزة أعز فتى فى قريش وأشدهم شكيمة، ولا شك أن إسلام حمزة كان له أثره في شد أزر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لما أسلم حمزة عرفت قريش أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عزاً ومنعة، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.
وتروى كتب السيرة شعرا قاله حمزة رضى الله عنه بعد إسلامه. . قال فيه:
حمدت الله حين هدى فؤادى,   إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزين   خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا   تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها   بآيات مبينت الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع   فلا تغسوه بالقول الضعيف

فلا والله نسلمه لقوم ولما نقضى فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع عليها الطير كالورد عكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف به فجزى القبائل من ثقسيف
إله الناس شر جزا ء قوم ولا أ سقاهم صوب الخريف

فى دارالأرقم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدخل ومن أسلم معه من قومه دار الأرقم بن أبى الأرقم يعبدون الله تعالى فيها سراً من القوم.
وتذكر كتب السيرة موقفا لأبى بكر الصديق وكان ضمن الذين يعبدون الله مع الرسول سراً فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وهو موقف يدل على صلابة إيمان أبى بكر..
فعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألح أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور فقال: يا أبا بكر إنا قليل. فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم.
وتمضى السيدة عاشة فى روايتها فتقول: ثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين حتى ما يعرف وجهه من أنفه فجاءت بنو تميم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر وحملت بنو تميم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، ورجع بنو تميم إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم فى آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.
فقالوا لأمه أم الخير: انظرى أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه.

فلما خلت به وألحت عليه جعل يقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: والله ما لى علم بصاحبكفقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه. فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب
معك إلى ابنك. قالت: نعم..
فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا فدنت أم جميل وأعلنت صائحة: والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر وإنى لأرجو أن ينتقم الله منهم.
قال: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
قالت: هذه أمك تسمع (وكات أمه لم تسلم بعد).
قال: فلا شى ء عليك منها. قالت: سالم صالح.
قال: فأين هو؟. قالت: فى دار الأرقم.
قال: فإن لله على لا أذوق طعاماً ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
تقول السيدة عائشة: فأمهلنا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكى على حتى أدخلناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله، وأكب عليه المسلمون ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله ليس بى بأس إلا ما نال الناس من وجهى، وهذه أمى برة بولدها، وأنت مبارك فعسى الله أن يستنقذها بك من النار " فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدار شهراً.
يقول ابن إسحق: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب، واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحيى بعير (أى عظمتى فك البعير) فشجه وكان هذا أول دم أريق فى الإسلام.

الجهر بالدعوة

ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع سنين يدعو إلى الله سراً حتى نزل عليه قول الله تبارك وتعالى: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

(96) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99) "الحجر

فكان ذلك بمثابة أمر من الله تعالى للنبى أن يصدع بما جاء به من عند الله، وأن يبادى الناس بأمره، وأن يدعو إلى الله تعالى.

ولما نزلت هذه الآيات على النبى صلى الله عليه وسلم، اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعا، فمكث شهراً أو نحوه جالسا فى بيته حتى ظنت عماته أنه شاك، فدخلن عليه عائدات، فقال: ما اشتكيت شيئا لكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين، فأردت جمع بنى عبد المطلب لأدعوهم إلى الله تعالى.

فقلن له: فادعهم ولا تجعل عبد العزى منهم. (يقصدون أبا لهب) فإنه غير مجيبك إلى ما تدعوه إليه. وخرجن من عنده.

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى عبد المطلب فحضروا ومعهم عدة من بنى عبد مناف وجميعهم خمسة وأربعون رجلاً، وسارع إليه أبو لهب، وقال أبو لهب للنبى: هؤلاء عمومتك وبنو عمك، فتكلم بما تريد ودع الصلاة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وما رأيت يا ابن أخى أحداً قط جاء بنى أبيه وقومه بشر مما جئتهم به.

سكت رسول اله عيهه ولم يتكلم فى ذلك المجلس ومكث أياماً، وكثر عليه كلام أبى لهب فنزل جبريل عليه السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بإظهار ما أمره الله به وشجعه عليه وجمع رسول الله نخبتي عشيرته مرة ثانية وقال لهم: الحمد لله، أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم قال. . إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس ما غررتكم، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءا، وإنها للجنة أبدا أو النار أبداً، وإنكم لأول من أنذر، ومثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف يا صياحاه..

وتحدث بعد ذلك أبو طالب فقال: ما أحب إلينا معاونتك ومرافدتك، وأقبلنا لنصحك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإما أنا أحدهم، غير أنى والله أسرعهم إلى ما تحب ٠ فامض لما أمرت به فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أنى لا أجد نفسى تطوع إلى فراق دين عبد المطلب حتى أموت على ما مات عليه.

ومضى القوم يتكلمون فقالوا كلاما لينا غير أبى لهب، فإنه قال: يا بنى عبد المطلب. . هذه والله السوءة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يديه غيركم، فإن أسلمتموه حينئذ ذللتم، وإن منعتموه فتلتم وهنا رد عليه أبو طالب فقال: والله لنمنعنه ما بقينا. وتكلمت صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقالت لأبى لهب: أى أخى، أيحسن بك خذلان ابن أخيك وإسلامه، فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضى عبد المطلب نبى، فهو هو فرده أبو لهب قائلاً: هذا والله الباطل والأمانى، وكلام النساء فى الحجال اذا قامت بطون قريش كلها وقامت معها العرب فما قوتنا بهم؟ فوالله ما نحن عندهم إلا إكله رأسى.
إلى هذ الحد كانت معاداة أبى لهب لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الروايات كثير من المواقف المناهضة للدعوة من جانب أبى لهب.
ومما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه "وأنذر عشيرتك الأقربين" قام على الصفا فعلا أعلاها ثم نادى: يا صباحاه. فقالوا : من هذا ؟ وجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج يرسل رسولاً لينظر ما هو، فجا ء أبو لهب وقريش فاجتمعوا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ فقالوا :ماجربنا عليك كذباً.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش انقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا. يا بنى عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا. يا بنى كعب بن لؤى.. انقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا. يا عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم انقذ نفسك من النار فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا، يا صفية عمة محمد صلى الله عليه وسلم ويا فاطمة بنت محمد انقذا أنفسيكما من النار فإنى لا أملك لكما من الله شيئا، غير أن لكما رحما سأبلها ببلألها، إنى لكم نذير بين يدى عذاب شديد - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة.
فقال أبو لهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا ٢
فنزل قوله تعالى: " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5) " المسد
مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى دين الله كما أمره بذلك المولى سبحانه وتعالى، وكان لا بد أن يذكر آلهة القوم التى اتخذوها من الأصنام وأن يعيبها، فلما فعل ذلك استعظموه منه واجتمعوا على عداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه من القوم وقام دونه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهراً لأمره لا يرده عنه شىء.

ومشى رجال من أشراف قريش إلى عمه أبى طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل أبناءنا، فإما أن تكفه وإما أن تخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقا، وردهم رد جميلاً.
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه. لكن قريشا أكثرت من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وازداد حقدهم وغضبهم، وأخذ يحض بعضهم بعضاً عليه وعاودوا الكرة مع أبى طالب مرة أخرى فمشوا إليه وقالوا له: يا أبا طالب إن لك سناً، وإن لك شرفاً ومنزلة فينا، وإنا وقد استنهيناك من ان أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تلكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. وانصرف القوم من عند أبى طالب لكن أبا طالب عظم علية فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسا بأن يسلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يخذله. . فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثه فى ذلك الأمر.
. تنازعت أبا طالب أحاسيس شتى بعد أن شكت إليه قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبت إليه أن يكفه عنهم أو ينازلوهما فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين فأرسل أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدثه فى الأمر ويقول له: يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى وقالوا لى إنهم لا يصبرون على ما تفعله بهم من شتم آبائهم وتسفيه أحلامهم وعيب آلهتهم حتى أكفك عنهم أو ينازلوننى وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، فابق على نفسك وعلى، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيقه.
ظن النبى عليه الصلاة والسلام أن عمه قد ضعف عن نصرته، وبدا له أن عمه خاذله ومسلمه إلى القوم، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ثم استعبر رسول الله ٠، فلما ولى ناداه أبو طالب وقال له: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشى* أبداً. .

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا
فامض لأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقر بذا ك منك عيونا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذارى سبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

أدركت قريش إذن أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعزمه على فراقهم فى ذلك وعداوتهم ولكن هل كفت عن محاولاتها مع أبى طالب؟
لقد عاودت قريش الكرة مرة أخرى، فمشوا إلى أبى طالب ومعهم عمارة بن الوليد ابن المغيرة وكان فتى جميلاً من فتيان قريش وقالوا له: يا أبا طالب،

هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى من قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف ديننا ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل برجل.
وكانت هذه حيلة مكشوفة ومحاولة يائسة من قريش لا يمكن أن تنطلى على أبى طالب.
قال لهم أبو طالب:
والله لبئس ما تسومونني، أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله ما يكون أبداً أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها.
وكان مع قريش المطعم بن عدى، فلم يعجبه قول أبى طالب. فقال له:
والله يا أبا طالب. لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا.
هنا قال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك. وتوتر الموقف.
فتنابذ القوم ووثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب.
وإن كان لم يسلم من محاولات الإيذاء، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد، وأخفت فى الله وما يخاف أحد.

رغم ذلك فقد استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهارا ٠ سراً وجهراً لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عن ذلك صاد، يتتبع الناس فى أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفى المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه حر وعبد، وغنى وفقير، جميع الخلق عنده سواء.
لم يثنه عن الدعوة أن تسلط عليه وعلى أتباعه الأشداء الأقوياء من مشركى قريش بالإيذاء فعلاً وقولاً، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان.
كان من بين الذى آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبو جهل" وذات يوم قال أبو جهل لقومه: يا معشر قريش إن محمد قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر، فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم.
فلما أصبح أبو جهل (لعنه الله) أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو،وكانت قبلته الشام فكان إذا صلى بين الركنين الأسود واليمانى، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله عية يصلى، وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبوجهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منبهتا ممتقعا لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره حتى سقط الحجر من يده وقامت إليه قريش فقالوا : ما بك يا أبا الحكم؟.
قال أبو جهل: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، والله مارأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلنى.
وقد ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ذلك جبريل.. لودنا منه لأخذه.
وتذكرنا هذه الواقعة، بقصة الرجل الإراشى وهو رجل قدم من إراش بإبل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فمطله بأثمانها فأقبل الإراشى حتى وقف على نادى قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى ناحية المسجد فقال: يا معشر قريش من رجل يؤدينى على أبى الحكم بن هشام، فإنى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى.
فأشار أهل المجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون ما بين الرسول وبين أبى جهل من العداوة ولكنهم أرادوا الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم وقال قائلهم: ترى ذلك؟ اذهب إليه فهو يؤديك عليه.

أقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما حدث، فقام معه، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ما يصنع، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه إلى بيت أبى جهل فضرب عليه بابه فقال أبو جهل: من هذا ؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : محمد فاخرج فخرج إليه أبو جهل وما فى وجهه قطرة دم وقد امتقع لونه فقال له الرسول: إعط هذا الرجل حقه.
فقال أبو جهل: لا تبرح حتى أعطيه الذى له.
فدخل أبوجهل ثم خرج إليه بحقه ودفعه إليه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشى: الحق وشأنك.
فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال:
جزاه الله خيراً فقد أخذت الذى لى.
وجا ء الرجل الذى بعثوه معه فقالوا له: ويحك ماذا رأيت؟ فقال: رأيت عجبا من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج وما معه روحه، فقال: اعط هذا الرجل حقه. فقال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه.
ولم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له: ويلك ما لك؟
فوالله ما رأينا مثل ما صنعت . فقال لهم أبوجهل : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعبا، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسى لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فوالله لو أبيت لأكلنى.
لما رأت قريش أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يزداد عددهم، وأصبح للدعوة خطرها اجتمعت قريش لتدارس الأمر فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا فيكلمه ولينظر ما يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا : أنت أبا الوليد.
فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخى... إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم. وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم، يا محمد أنت خير أم عبد الله؟
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عتبة: أنت خير أم عبد المطلب ؟
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة،وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم نسمع قولك، إناا والله ما رأينا قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشتتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا، وأن فى قريش كاهناً.. والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا

بعضا إليك بالسيوف حتى نتفانى. أيها الرجل اسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها.
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أبا الوليد أسمع.
فقال عتبة: يا ابن أخى. . إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعناه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به الشرف سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.
ولما فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له الرسول: أقد فرغت أبا الوليد ؟٠
قال عتبة: نعم.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاسمع منى وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الحق تبارك
" حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آَذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (13) " فصلت.
فأمسك عتبة على فم الرسول صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف عنه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.
فقال عتبة: ما عندك غير هذا ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما عندى غير هذا.
فقام عتبة ولم يعد إلى أصحابه واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه.
فانطلق القوم حتى أتوه فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبوت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كان لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما

يغنيك عن طعام محمد .
فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال: لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالأ ولكننى أتيته وقلت له... وقص علبهم عتبة القصة. فسألوه: فما أجابك؟.
فقال عتبة: والله ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت ان ينزل عليكم العذاب.
قال له القوم: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال؟
فقال عتبة : والله ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.. يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها لى وخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر واعصونى بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناى كلاما مثله، وما دريت ما أرد عليه.
قال له القوم: سحرك والله يا آبا الوليد.
فقال لهم: هذا رأيى فاصنعوا ما بدا لكم.
اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنهم قد تحولوا عن موقفهم، وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً عليهم ويعز عليه عنتهم.
فقال قائلهم: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قرمك٠ لعد شتمت ألأباء وعبت الدين وشتمت الألهة وفرقت الجماعة، فما بقى أمر قببح إلا جئته فيما يبننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالأ، وإن كنت إنما تريد به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك، فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك
حتى نبرئك منه أو لعذر فيك . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئت أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله تعالى بعثنى إليكم رسولاً وأنزل على كتاباً وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم.
عندئذ قالوا له: يا محمد إن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضنا لك فإنك قد علمت أنه ليس أحد أضيق بلدا ولا أقل مالأ ولا أشد عيشا منا، فاسأل لنا ربك أنهاراً كأنهار العراق والشام، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن ممن يبعث

لنا منهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول، أحق هو أم باطل؟. فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك إلينا رسولاً كما تقول.
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بعثت لكم، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم.
عندئذ قالوا له: إذا لم تفعل فخذ لنفسك سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس الرزق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك إن كنت رسولاً.
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل، ما أنا بالذى سأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا. ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم.
فقال له قائلهم: فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت إن ربك إن شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله عز وجل إن شاء أن يفعله بكم فعله.
فقالوا له: يا محمد فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب إليك ما نطلب فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك
بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا.
وقال قائل آخر منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً.
فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب، ولم يكن قد أسلم بعد. فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتى بأربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله إن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك.

ثم انصرف عبد الله بن آمية عن رسول الله عيه وانصرف الرسول عليه الصلاة والسلام حزينا آسفاً لما فاته ما كان يطمع به من قومه حين دعوه لما رأى من مباعدتهم إياه.
ما أكثر ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العنت من جانب قريش لكنه صلى الله عليه وسلم كان شديد الصبر واسع الصدر، رغم عنتهم وعنادهم لقد بلغ بهم العناد والعنت أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعون. إنهم يطلبون منه الخوارق والمستحيلات ولم يكن ذلك على الله بعزيز، لكن الله سبحانه وتعالى يعلم أنهم لو شاهدوا ما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم يعمهون، ولظلوا فى غيهم وضلالهم يترددون، فلقد رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن كان عنده قدر من إنصاف أن طلبهم للخوارق والمعجزات يكشف عن جهلهم بحكمة الله تعالى فى امتحانه الخلق وأن يكون إيمانهم عن نظر وتفكر ثم نعود إلى طلب أهل مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعونها!
هنا تدخلت السما، فأتى جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة.
فماذا اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اختار الرحمة وقال: أب رب باب الرحمة .
واجه الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من طلب الخوارق والمعجزات من جانب قريش فهل تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم ومحيا من السماء يرد على كل ما يطلبون كفرا وعنادا؟ أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع كثيرة ، يقول المولى عز وجل في سورة الإسراء:" وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)" الإسراء.
ويقول الله في سورة العنكبوت: " وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (52)" العنكبوت
وعن أنس رضى الله عنه أن أبا جهل قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فنزلت الآية الكريمة: " وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)" الأنفال
فلما أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة نزلت الآية الكريمة:
" وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34)" الأنفال
ولم يكتف المشركون بطلب الخوارق والمعجزات من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل إنهم حاولوا أن يمتحنوا الرسول بسؤاله عن أشياء لا يعرفها إلا نبى. وفى ذلك حكاية مشهورة فعندما بعثت قريش النضر بن الحارث ومعه عقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود المدينة ليسألاهم عن محمد. وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، فكان إذا جلس رسول الله مجلسا فذكرفيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله عز وجل خلفه فى مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثا منى، وما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما كتبتها. ألا لعنة الله عليه.
قال ابن إسحق: وكان ابن عباس يقول فيما بلغنى إنه أنزل فيه ثمان آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى :
" إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين "القلم. بعثت قريش النضر بن الحارث وصاحبه عقبة بن أبى معيط، إلى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما: اسألاهم عن محمد، وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.
فخرجا حتى قدما المدينة فسألا الأحبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله فقالت لهم أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب واسألوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه، واسألوه عن الروح ما هى، فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم.
أقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهونبى وإن لم يفعل فالرجل متقول فرواً فيه رأيكم فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه فى تلك الأشياء فقال لهم: أخبركم بما سألتم عنه غداً . فانصرفوا عنه . لماذا أجل الرسول صلى الله عليه وسلم إجابته عليهم ؟ إنه ينتظر وحي السماء لكي يتلقى من الله الإجابة.
ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون خمس عشرة ليلة، وقيل إنما أبطأ الوحى عنه ثلاثة أيام لا يحدث الله تعالى فى ذلك وحيا ولا يأتيه

جبريل. وكأنى بأهل مكة يرجفون ويتقولون على النبى صلى الله عليه وسلم .
وقد أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخر الوحى عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. إلى أن جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة الكهف وفيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح أما المعاتبة ففى قوله تعالى: " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)" الكهف
وأما أمر الفتية ففى قوله تعالى: " أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) "(الكهف) إلى آخر الآيات الكريمة التى وردث فى سورة الكهف
وأما عن الرجل الطواف، ففي قوله تعالي:
" وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) " وأما عن أمر الروح، نزل قول الله تبارك وتعالي: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) الإسراء
وهكذا جاء الوحى مجيبا على أسئلتهم، مفحما لهم، مؤكدا على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.
بسم الله الرحمن الرحيم " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110) الإسراء
هذه الآية الكريمة تذكرنى بما كان يقع فى مستهل ادعوة الإسلامية، فقد روى أن هذه الآية نزلت ورسول الله متوار بمكة فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به وأبوا أن يسمعوا منه.
وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله يه بعض ما يتلوه وهو يصلى، استرق السمع دونهم خوفا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يسمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فأنزل الله تعالى "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً" يروى أن أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وأرضاه، ومما يروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه ؟
فقال عبد الله بن مسعود : أنا.
قالوا : إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه.

ولم يخف عبد الله بن مسعود فهذا الرعيل الأول من المسلمين لم يكن يخشى فى سبيل الدعوة شيئاً وكانوا يثقون أن الله لا بد أن ينصرهم ويثبت أقدامهم.
قال ابن مسعود لأصحابه: دعونى فإن الله سيمنعنى وغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقام ثم أخذ يقرأ: " الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13)" الرحمن.
ومضى ابن مسعود يقرأ آيات السورة وقريش تستمع إليه، ويقول بعضهم لبعض: ماذا قال ابن أم عبد، إنه ليتلوبعض ماجاءبه محمد، قوموا بنا نضربه حتى يكف عما يقول ، وجعلوا يضربونه في وجهه وهو يقرأ غير آبه بما يفعلونه حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ. وبعد أن انتهى من قراءة القرآن انصرف إلى أصحابه، وقد بدت علامات الاعتداء على وجهه فقالوا له: هذا الذى خشينا.
فقال بكل الإيمان: ما كان أعداء الله تعالى أهون على منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، أى اذهب إليهم يوم غد مرة أخرى لأسمعهم القرآن. .. يا لقوة الإيمان إنها تنزع الخوف من القلوب.
لكن أصحابه أشفقوا عليه وقالوا له: لا حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون.

بلال وصحبه

اشتد إيذاء الكفار للمسلمين، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وكان أبو جهل هو الذى يغرى بهم رجال قريش إذا سمع بالرجل أسلم، وكان له شرف ومنعة، أنبه وأخزاه وقال له: تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك، ولنضعن شرفك.
وإذا كان تاجراً قال له: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك.
وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به، ومن المستضعفين كان بلال رضى الله عنه، وكان صادق الإسلام طاهر القلب. تعرض بلال رضى الله عنه لكثير من صنوف تعذيب المشركين له، وتحمل من ذلك العذاب ما يعجز عن تحمله البشر كان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له ء لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى.
فيقول له بلال وهو فى ذلك البلاء: أحد أحد أنا كافر باللات والعزى.
فماذا يكون من أمية بن خلف؟
كان أمية يزيده عذابا حتى يغشى عليه، فلما يفيق يعاود تعذيبه من جديد وكانوا يجعلون فى عنقه حبلاً ويأمرون صبيانهم أن يشتدوا به بين جبلى مكة، وهو يقول: أحد أحد.
وما تراجع بلال قط رغم كل ما لقيه من صنوف التعذيب، وكان إذا اشتد عليه العذاب قال: أحد أحد فيقولون له: قل كما نقول. فيقول: إن لسانى لا ينطق به ولا يحسنه.
وذات يوم مر به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهم يفعلون به ذلك، فقال لأمية :ألا تتقى الله فى هذا ا لمسكين، حتى متى تعذبه ؟
فقال له أمية: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى.
قال له أبو بكر: أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطكه به.
فقال له أمية: قد قبلت
فقال له أبو بكر: هو لك.
وأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذ بلالا فأعتقه.
لم يكن بلال هو الوحيد ممن أسلموا ، الذى تعرض لتعذيب المشركين وأذاهم، ولكنهم كانوا كثيرين منهم خباب بن الأرت، وصهيب بن سنان الرومى، وعامر بن فهيرة، وعمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية وأخوه عبد الله رضى الله عنهم، وغيرهم، وغيرهم ولقد اشترى أبو بكر الصديق رضى الله عنه عددا كبيراً ممن كانوا يعذبون فى الله. وفى ذلك يروى أن أبا قحافة قال لابنه أبى بكر: يا بنى

أراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك فعلت ما فعلت فأعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال له أبو بكر: ياأبت إنما أريد ما أريد لله عز وجل.. وفى ذلك نزل قوله تعالى : " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) " الليل.
يروى أن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال شعراً يذكر فيه بلالأ وأصحابه الذين أعتقهم أبو بكر مما كانوا فيه من البلاء من ذلك قوله:
جزى الله خيرا عن بلال وصحبه   عنيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل
عشية هما فى بلال وصحبه   ولم يحذرا ما يحنرلمرء ذوالعقل
بتوحيده رب الأنام و قوله   شهدت بأن الله ربى على مهل
فإن تقتلونى تقتلونى ولم أكن   لأشرك بالرحمن من خيفة القتل

أول هجرة فى الإسلام

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله تعالى لكم فرجا مما أنتم فيه. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله تعالى بدينهم فكانت أول هجرة فى الإسلام.
كانت هجرة المسلمين الأولى فى شهر رجب سنة خمس من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
كانوا نحو عشرة أو أكثر من ذلك قليلاً ما بين رجال ونساء. كان منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه ومعه امرأته رقية بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك يروى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وأبو حذيفة بن ربيعة ومعه امرأته سهلة بنت نهيل بن عمرو، والزبير ابن العوام، ومصعب بن عمير، وأبو سلمة عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبى حتمة وغيرهم.
ولم يكن عمر بن الخطاب معهم، إذ لم يكن قد أسلم بعد وكان من أشد الناس على المسلمين، وفى ذلك يروى عن ليلى بنت أبى حتمة قولها "كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة أتانا عمر بن الخطاب وأنا على بعيرى وأنا أريد أن أتوجه فقال لى: أين يا أم عبد الله ؟ فقلت: آذيتمونا فى ديننا، فنذهب فى أرض الله حيث لا نؤذى

فقال: صحبكم الله . ثم ذهب فجاء زوجى عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر، فقال: ترجين أن يسلم ؟ . والله لا يسلم حتى يسلم حمار اتخطاب!!
خرج المهاجرون متسللين سراً حتى أتو الشعيبية منهم الراكب ومنهم الماشى، وهيأ الله للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار، وعلمت قريش بذلك فخرجت فى آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا، فلم يدركوا منهم أحدا وكانت قريش تقول: لو ذكر محمد آلهتنا بخير مررناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر من خالفه من اليهود والنصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا من الشتم.

خرج المهاجرون إلى ارض الحبشة من مكة فى رجب سنة خمس من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقاموا شعبان ورمضان ثم عادوا فى شوال من نفس السنة.
هم إذن لم يمكثوا طويلاً فى الحبشه. قد يسأل سائل: إذن لماذا تجشموا مشقة السفر؟. ذلك له قصة، فلقد بلغ المسلمين الذين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا حتى إن الوليد بن المغيرة وأبا أميمة قد سجدا خلف النبى صلى الله عليه وسلم. فقال القوم: فمن بقى بمكة إذا أسلم هؤلاء، وإن عشائرنا أحب إلينا ، فخرجوا راجعين حتى إذ كانوا دون مكة بساعة من نهار لقواً ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش وعن حالهم فقال لهم الركب: ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم رجع فعاب آلهتهم وعادوا له بالشر، فتركناهم على ذلك.
عندئذ ائتمر القوم بالرجوع إلى الحبشه، لكنهم قالوا : قد بلغنا ندخل فننظر ما فيه قريش ثم نرجع. ودخلوا لكن أحداً منهم لم يدخل إلا بعد أن استجاربأحد أومستخفيا إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيراً ثم رجع إلى أرض الحبشه.
لما قدم المسلمون والمهاجرون من الحبشة ودخلوا مكة اشتد عليهم قومهم وسطت عليهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديدا وكان من بينهم عثمان بن مظعون الذى كان يغدو ويروح فى أمان الوليد بن المغيرة، فلما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان قال: والله إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كبير فى نفسي.
ثم مشى عثمان إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك.
فقال له الوليد: لم يا ابن أخى لعله آذاك أحد من قومى؟
فقال عثمان: لا ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال الوليد بن المغيرة: إذن فانطلق إلى المسجد فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية.
فانطلقا حتى أتيا إلى المسجد فقال الوليد: هذا عثمان قدجاء يرد على جوارى.
فقال عثمان بن مظعون: صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكننى قد أحببت ألا أستجير بغير الله عز وجل، فقد رددت عليه جواره.
وانصرف عشمان بن مظعون، وكان لبيد بن ربيعة بن مالك فى مجلس من قريش ينشدهم شعرا قبل إسلامه، فجلس عثمان معهم فقال لبيد:
ألا كل شىء ماخلا الله باطل
قال عثمان بن مظعون: صدقت.
قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل
فقال عثمان بن مظعون: كذبت نعيم الجنة لا يزول.
فصاح لبيد: يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا ؟
فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله.
فرد عليه عثمان حتى تأزم أمرهما فقام ذلك الرجل فلطم عين عثمان حتى ورمت، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما حل بعثمان فقال له الوليد: أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابهما لغنية ولقد كنت فى ذمة منيعة.
فقال عثمان بن مظعون: بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله عزوجل، وإنى لفى جوارمن هوأعزمنك وأقدر يا أبا عبد شمس.
فقال الوليد بن المغيرة: هلم يا ابن أخى إن شئت إلى جوارك فعد.
فرد عثمان بن مظعون قائلاً: لا والله لا أعود.
ما أروع إيمان هؤلاء القوم، وما أكثر ما تحملوا فى سبيل دين الله .
لقد كان إيمانهم لا يخالطه شائبة. وتحملوا فى سبيل الدعوة فوق ما يطيقه البشر.
كان من بين المهاجرين الذين عادوا من الحبشة أبو سلمة بن عبد الأسد وقد أجاره أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم، فلما أجاره أبو طالب مشى إليه رجال من بنى مخزوم فقال له قائلهم: يا أبا طالب قد منعت ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه؟ قال أبوطالب: إنه استجاربى وهوابن أختى، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى فقام أبولهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون توثبون عليه فى جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أولنقومن فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد.
فقال له القوم: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة. وكان أبولهب ولياً وناصرا لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك.
إنه موقف غريب من أبى لهب. لكن هذا الموقف لم يكن نصرة لمحمد ودعوته، ولكنه كان دفاعا عن أخيه أبى طالب لأنه بقى على موقفه المناوئ

لرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يلن قلبه أبدا.

إسلام عمر

كان إسلام عمر بن الخطاب عقب الهجرة الأولى إلى الحبشة، وفى ذى الحجة سنة ست من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم
روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصة إسلامه فقال: كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذات يوم قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم، وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار، ألا ومن قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء وسوداء، وألف أوقية من فضة.
ويمضى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول: فخرجت متقلدا السيف متنكبا كنانتى أريد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلقينى رجل من قريش، وكان قد أسلم، وكان يخفى ذلك خوفا من قومه فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟
فقال له عمر: أريد هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامهما، وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله..
فقال له الرجل: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشى على وجه الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟
قال عمر: وأئ أهل بيتى؟
فقال له: الرجل ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمر وأختك فاطمة بنت الخطاب. فقد والله أسلما وتابعا محمد على دينه فعليك بهما.
ولكن لماذا قال له الرجل ذلك وقد كان مسلماً، وهو يعرف أن عمر سوف يؤذى أخته وزوجها لإسلامهما ؟. لقد فعل الرجل ذلك ليصرف عمر عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فماذا فعل عمر؟
رجع عمر إلى أخته وختنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم بعض من لا شىء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه وكان قد ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أخت عمر فقرع عمر عليهم الباب وعندهم خباب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة طه

يقرئهما إياها فلما أحسوا بعمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فحملتها تحت فخذها وقد سمع عمر

حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة التى سمعت؟. فقالا له: ما سمعت شيئاً، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه.
ثم بطش عمر بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك.
فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع. . ويا سبحان الله ، عمر يرق قلبه إنها إرادة الله الذي شاء سبحانه أن يعز الإسلام بعمر، لقد ندم عمر على ما صنع عندما رأى ما بأخته من الدم، وقال: لأخته أعطنى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون آنفا انظرما هذا الذى جاء به محمد.
فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها.
قال: لا تخافى. وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك قالت وكأنها طمعت فى إسلامه: يا أخى أنت نجس على شركك وإنه لا يمسه إلا طاهر.
فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها سورة طه فقرأها فلما قرأ صدراً منها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.
كل ذلك وخباب ما زال مختبئا فلما سمع الشهادة من عمر خرج إليه فقال له: يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه، فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب. . فالله الله يا عمر.
عندئذ قال له عمر: دلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم.
لقد دخل الإسلام قلب عمر، ولم يعد خباب يخشى أن يدله على النبى صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذلك أجاب خباب على عمر بقوله: هو فى بيته عند الصفا معه نفر من أصحابه.
أخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعرا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرجع وهو
فزع قال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف.
فهل يأذنون له بالدخول وهم لم يبلغهم بعد أن عمر قد نطق بالشهادتين؟
إن ذلك لم يفزع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، فلقد قال حمزة بن عبد المطلب للرجل الذى رأى عمر من خلال الباب: ائذن له فإن كان يريد خيرا بذلنا له، وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل أيضا : إئذن له فإن يرد الله به خيرا يهده.

فأذن له الرجل وفتحوا له وأخذ رجلان بعضديه حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام: أرسلوه.
فأرسلوه. فنهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بحجزته أو بجمع ردائه، ثم جذبه جذبة شديدة وقال له: ما جاه بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أراك أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة.
فقال عمر: يا رسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله.
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف بها أهل البيت من أصحاب رسول الله عي أن عمر قد أسلم، فكبروا تكبيرة سمعت بطرق مكة وتفرقوا من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر وكان حمزة قد أسلم قبله.
لقد عرف المسلمون أن عمر وحمزة سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسوف ينتصف المسلمون بهما من عدوهم. ولعل أبلغ تصوير للأثر الذى أحدثها إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، والقوة التى أضافها إسلامه للمسلمين ما يرويه ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب.
وقوله أيضا: إن إسلام عمركان فتحا، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.
وكان إسلام عمر مرحلة فاصلة فى تاريخ الدعوة الإسلامية لما جبل عليه عمر بن الخطاب من الشجاعة والقوة. إن عمر بن الخطاب، لم يخش من القوم وإنما جهر بإسلامه، وفى ذلك يروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قوله: لما أسلم عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن عمرالجمحى. قال عبدالله: فغدا عليه وغدوت معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت فى دين محمد؟ قال ابن عمر: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه فتبعه عمر واتبعت أبى حتى إذا قام على باب المسجد خرج جميل بأعلى صوته والقوم فى أنديتهم حول الكعبة فقال: يا معشر قريش ألا إن ابن الخطاب قد صبأ وعمر يقول من خلفه كذب ولكنى أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فثار القوم إليه وما برح يقاتلهم ويقاتلونه فبينا هو كذلك إذ أقبل شيخ من قريش حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا : صبأ عمر فقال لهم الشيخ: رجل اختار لنفسه أمراً فما تريدون منه، أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبكم خلوا عن الرجل.
يقول عبد الله بن عمر: فوالله كأنما كانوا ثوباً كشط عنه فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبى من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أى بنى العاص بن وائل السهمى.
وكان ذلك الرجل مشركاً ومات مشركا.

حصار المسلمين

لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زاد عددهم، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم وكان رجلاً ذا شكيمة، فامتنع به وبحمزة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل، أجمعوا رأيهم واتفقوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا ، فقالوا لقومه: خذوا منا دية مضاعفة، وليقتله رجل من غير قريش ويريحنا وتريحون أنفسكم.
فأبى قومه بنو هاشم، وظاهرهم فى ذلك بنو عبد المطلب بن عبد مناف.
عرفت قريش أن رسول الله قد منعه قومه، وأن خطتهم لقتله مقضى عليها بالفشل فهل يسكتون على ذلك؟
ظلت قريش تتشاور فى الأمر، وتقلب النظر بحثا عن وسيلة يناوئون بها رسول الله . وأجمع المشركون من قريش أمرهم على منابذة بنى هاشم وبنى عبد المطلب وإخراجهم من مكة إلى الشعب لأنهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفقوا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب على ألا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعوهم

شيئا ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا صحيفة ثم تعاهدوا وتعاقدوا على ذلك. ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ومنعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعاماً ولا إداما ولا بيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم.
لما فعلت قريش ذلك انحازت بنوهاشم وبنوعبد المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه مؤمنهم وكافرهم. وطبيعى أن ينحاز المؤمنون إلى أبى طالب فكيف بالمشركين منهم؟
لقد انحاز المؤمنون يدفعهم إيمانهم بالدين الجديد، وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما المشركون من بنى هاشم وبنى عبد المطلب فقد انحازوا إليهم تدفعهم إلى ذلك الحمية فماذا كان موقف أبى لهب؟
خرج أبو لهب من بنى هاشم وانحاز إلى قريش مظاهراً لهم، وحين فارق قومه وظاهر قريشا عليهم لقى هنداً بنت عتبة بن ربيعة فقال لها: يا بنت عتبة، هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهرعليها؟
فقالت له هند: نعم جزاك الله خيراً يا أبا عتبة.

أقام المسلمون فى الشعب ثلاث سنين حتى جهدوا لا يصل إليهم شى،، إلا سراً مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش.
وذات يوم لقى أبو جهل، حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة وهى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم، لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة.
فقال أبو البخترى بن هشام بن الحارث: طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل.
فأبى أبو جهل، وظل يتحرش بحكيم وبالغلام، فما كان من أبى البخترى إلا أنه أخذ بلحيي بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئاً شديدا .
ولم يكن أبو البخترى مسلماً وإنما كان من المشركين، لكن الله سبحانه وتعالى سلطه على أبى جهل وتلك هى حكمة الله.
يا سبحان الله، حقا إن الله يدافع عن الذين آمنوا ولقد كان أبوطالب طوال مدة إقامتهم فى الشعب يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً ، فإذا نام الرسول عليه الصلاة والسلام، أمر أبو طالب أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بعض فرشهم فيرقد عليه وظلوا على ذلك حتى أتموا فى الشعب ثلاث سنين.
وبعد أن مضت ثلاث سنوات على هذا الموقف ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب مع أبى طالب والمسلمين ومعهم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب بن عبد مناف، تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن قصى، ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم وجانبوا الحق، فاجتمع أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه من العذر والبراءة منه.
ولكن هل ظلت صحيفة قريش التي تعاهدوا فيها على الغدر والقطيعة، وعلقوها فى جوف الكعبة، هل ظلت تلك الصحيفة على حالها ؟
لقد بعث الله تعالى على صحيفتهم (الأرضة) فأكلت أو لحست ما فى الصحيفة من عهد وميثاق بينما أبقت على اسم الله .. .وأطلع الله سبحانه وتعالى رسوله على ذلك، فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب. . فقال عمه أبو طالب: أربك أخبرك بهذا ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، فقال له أبو طالب: لا والثواقب ما كذبتنى ثم انطلق أبو طالب بعصابة من بنى هاشم وبنى عبدالمطلب حتى أتوا المسجد وهو حافل ببنى قريش، فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش، فتكلم أبوطالب فقال "جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح" فأتوا بصحيفتهم لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يدفع إليهم

فوضعوها بينهم وقال قائلهم لأبى طالب "قد آن لكم آن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم".

فقال أبوطالب: - "إنما أتيتكم فى أمر هو نصف بيننا وبينكم إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابة فأبقت اسم الله وأكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان كما يقال فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وإن كان الذى يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم"

فقال قائلهم: "قد رضينا بالذى تقول".

فلما فتحوا الصحيفة وجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أخبر بخبرها قبل أن تفتح ولما رأت قريش صدق ماجاء به أبوطالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قائلهم: "هذا سحر ابن أخيك ترد عليهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب بقول قائلهم: "إن أولانا بالكذب والسحر غيرنا فإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر" وقال أبوطالب:- " يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة.

ثم دخل أبوطالب وأصحابه بين أستار الكعبة وقال "اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا " وانصرفوا بعد ذلك إلى الشعب وأنشد أبوطالب قصيدة تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وأخبر القوم أنه غير مسلم رسول الله ٠ أبدا حتى يهلك دونه يقول أبو طالب فى القصيدة:

ولما رأيت القوم لا ود عندهم   وقد قطعوا كل العرى والوسائل
صبرت لهم نفسى لسمراء سمحة وأبيض غضب من تراب ال معاول
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى   وأمسكت من أثوابى بالوصائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن   علينا بسوء أو ملحن بباطل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة   وبالله إن الله ليس بغافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ   وهل من معيذ يتق الله عادل
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد   وإخوتى دأب المحب الواصل
فلا زال فى الدنيا جمالاً لأهلها   وزينا على رغم العدو المخاتل

لما اشتد أذى المشركين فى مكة للمسلمين الذين كانوا قد هجروها إلى الحبشة وعادوا منها إلى مكة، أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فلما نزلوا أرض الحبشة أمنوا على دينهم وعبدوا الله تعالى لا يؤذون ولا يسمعون شيئا يكرهونه.

لما بلغ قريشا حسن استقبال النجاشى للمسلمين وأنه أمنهم على دينهم ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى الحبشة رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستظرف من متاع مكة..

فمن من الرجال اختارت قريش لهذه المهمة؟

تروى كتب السيرة أن هذين الرجلين كانا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص وقد أمرهما قومهما أن يدفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن يكلما النجاشى فيهم، ثم يقدما للنجاشى هداياه ويسألاه أن يسلم المسلمين إليها قبل أن يكلمهم.
ولم يبق من بطارقة النجاشى بطريق إلا دفعا له هديته قبل أن يدفعا إلى النجاشى هداياه ويكلماه فى الأمر، وكانا إذا أتيا إلى بطريق من البطارقة قال له قائلهما:- "إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى وأعلم بما عابوهم فيه".
ولكن هل استجاب لهم البطارقة؟
نعم فقد كان المبعوثان من قريش قد استمالاهم بالهدايا التى قدماها لهم، فلما دخلا على النجاشى سجدا له وقدما له هداياهما فقبلها ثم قالا له:-
"أيها الملك إن نفرا من بنى عمنا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك منهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم لتردهم عليهم وهم أعلى وأعلم بهم وبما عابوا عليهم وبما غيبوهم فيه" وكان البطارقة حضوراً فى المجلس فقال قائلهم: "صدقا أيها ال ملك، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم".
عندئذ قال النجاشى "فأين هم؟ ".. فقال قائلهم "فى أرضك أيها الملك" فرد النجاشى غاضبا "لا والله إذا لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا فى بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جارونى اذهبوا فادعوهم إلى، أستمع إليهم.
ولما جاء المسلمين رسول النجاشى يدعوهم إليه اجتمعوا به فقال قائلهم:- " ماتقولون للرجل إذا جئتموه ؟ " قالوا " نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كان فى ذلك ما هو كائن" فقال جعفر بن أبى طالب وكان فيهم "أنا خطيبكم اليوم".
دعا النجاشى أساقفته فوقفوا من حوله ودخل جعفر ومعه المسلمون فقال له أحد الأساقفة: ما لك لا تسجد للملك؟ فقال جعفر "إنا لا نسجد إلا لله عز وجل" فقال النجاشى: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل؟
فقال جعفر: " أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى

الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وقد أمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من الله تعالى فعبدنا الله تعالى وحده ولم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم الله علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك".

فقال النجاشى: "وهل معك مماجاء به من شىء؟" فقال جعفر "نعم" ولما طلب منه النجاشى أن يقرأه له قرأ بسم الله الرحمن الرحيم:

" كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) " (مريم)

فما زال جعفر يقرأ حتى بكى النجاشى حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا صحفهم حين سمعوا ما يتلى عليهم.

قال النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم التفت النجاشى إلى مبعوثى قريش وقال: أعبيد هم لكم؟ قال له القوم " لا" ، قال النجاشى: أفلكم عليهم دين؟ قال الرجال "لا". فقال النجاشى: انطلقوا فوالله لاأسلمهم إليكم أبداً.

لما خرجوا من عند النجاشى قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خفراءهم، فقال له عمارة: لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا. فقال عمرو بن العاص: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

لما غدا عمروإلى النجاشى قال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً فاسألهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم النجاشى ليسألهم عنه. .

فاجتمع المسلمون ليتشاوروا فى الأمر وقال قائلهم: ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ فقال له آخر: نقول والله ما قال الله تعالى وما جاء به نبينا كائن فى ذلك ما هو كائن، فقال جعفر: لا يتكلم أحد فأنا خطيبكم.

لما دخل المسلمون على النجاشى إذا هو جالس فى مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن شماله والقسيسون حوله جلوس فقال النجاشى لجعفر: ماذا تقولون فى عيسى بن مريم؟

قال جعفر: "نقول فيه الذى جاء به نبينا ، نقول: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول" فقال النجاشى: يا معشر القسيسين

والرهبان والله ما يزيدون على الذى فيه. وأنتم أيها القوم مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد فى الإنجيل وأنه الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لآتينه حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه اذهبوا فأنتم آمنون، من سبكم غرم ومن شتمكم غرم فما أحب أن لى جبلاً من ذهب وأنى آذيت رجلاً منكم" وأمر النجاشى لهم بطعام وكسوة وقال لحاشيته " ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه".
أقام المسلمون عند النجاشى بخير دار مع خير جار حتى إذا جاء رجل من الحبشة ينازع النجاشى فى ملكه حزن المسلمون لذلك حزنا شديداً تخوفا من أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى فيأتى رجل لا يعاملهم معاملة النجاشى لهم وسار رجل إلى النجاشى وبينهما عرض النيل فقال أصحاب رسول الله عيه"من رجل ينطلق حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر" فقال الزبير بن العوام: أنا، وكان الزبير من أحدث القوم سنا فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره وخرج إلى ناحية النيل التى عندها يلتقى القوم ثم انطلق حتى حضر فى المكان والموعد المحددين وبينما المسلمون يدعون للنجاشى بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده إذ طلع عليهم الزبير بن العوام يسعى وهو يلمع من ابتلاله بالماء وهو يقول لهم: أبشروا فقد ظهر النجاشى وأهلك الله عدوه وفرح المسلمون بذلك فرحا شديداً.
عن عائشة رضى الله عنها قالت " لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النهار بكرة وعشية".
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أبا بكر حبا شديدا ، وكان أبو بكر من أقرب المقربين إليه ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحبه فقد أذن له بالهجرة إلى الحبشة عندما ابتلى المسلمون واشتد عليهم إيذاء الكفار.
.
وعندما خرج أبو بكر مهاجرا إلى الحبشه سار حتى بلغ موقعا يقال له (برك الغماد) فلقيه ابن الدغنة وهو من سادة القوم فى ذلك الحين فقال له "أين تريد يا أبا بكر؟ " فقال له أبو بكر" أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى عز وجل"، فرد ابن الدغنة قائلاً "إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك.. ".
وكان مع أبى بكر الحارث بن خالد فقال أبو بكر "فإن معى رجلاً من عشيرتى" فقال ابن الدغنة "دعه فليمض لوجهه وارجع أنت إلى عيالك" فقال أبو بكر: "فأين حق المرافق؟ " فقال له الحارث: أنت فى حل فامض فإنى ماض لوجهى، ومضى معه الحارث حتى صار إلى الحبشة أما أبو بكر فقد رحل

وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة فى أشراف كفار قريش فقال: إن أبا بكر لا يخرج مثله، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق؟
وسمعت قريش كلام ابن الدغنة وأنفذت جواره وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.. وطلب ابن الدغنة من أبى بكر أن يفعل ذلك.
لبث أبو بكر يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لأبى بكر أن يبتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلى فيه فتهافتت عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون به وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكاءا لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين وأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له "إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن الصلاة والقراءة وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد عليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان وأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر وقال:- "قد علمت الذى عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له" وقال أبو بكر "فإنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى".
وحين خرج أبو بكر رضى الله عنه من جوار ابن الدغنة لقيه واحد من سفهاء قريش وهو متوجه إلى الكعبة فحثا على رأسه تراباً فمر بأبى بكر الوليد بن المغيرة أو العاص ابن وائل.. فقال له أبوبكر: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال له: أنت صنعت هذا بنفسك؟
فقال أبو بكر: أى رب ما أحلمك .. أى رب ما أحلمك.. أى رب ما أحلمك.
ونعود مرة أخرى إلى الصحيفة التى تعاهدت عليها قريش وعلقتها بالكعبة واتفقت فيها على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب فبينما كان المسلمون فى الشعب كان يصلهم نفر من قريش ومن هؤلاء هشام بن عمرو بن الحارث رضى الله عنه، فقد كان يدخل عليهم أحمالاً من الطعام، ولما علمت قريش بذلك غالظته وهمت به لولا أن قال لهم أبوسفيان بن حرب: دعوه إنه رجل وصل أهل رحمه، أما إنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا.
مشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبى أمية وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب فقال له: " يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يتباعون ولا يبتع منهم ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، أما إنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه" فرد زهير بن أبى أمية "ويحك يا هشام فماذا

أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها" فقال هشام بن عمرو " قد وجدت رجلاً، إنه أنا" فقال زهير "بغينا رجلاً ثالثا)).
وذهب هشام إلى المطعم بن عدى وقال له: يا مطعم أرضيت أن يهلك بطنان من بنى مناف وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه؟ أما والله لئن مكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها فيكم سراعا وقال مطعم: ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد؟ قال هشام: قد وجدت ثانيا إنه أنا، قال مطعم: ابغنا ثالثا 1 فقال هشام: إنه زهير بن أبى أمية فقال مطعم: ابغنا رابعا..
ثم ذهب هشام إلى أبى البخترى فقال له مثل ما قال للمطعم بن عدى، فقال أبو البخترى: وهل أحد يعين على هذا الأمر؟ قال هشام: نعم إنه زهير بن أمية والمطعم بن عدى وأنا معك، قال أبو البخترى: ابغنا خامسا.
ثم ذهب هشام إلى زمعة بن الأسود فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال زمعة: وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد؟ ، قال هشام: نعم أنا وزهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وابو البخترى. واجتمع الخمسة ليلاً بأعلى مكة وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير:- "أنا أبدأكم فكون أول من يتكلم" فأقبل على الناس وقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة" فقال أبو جهل وكان فى ناحية المسجد "كذبت والله لا تشق" فقال زمعة بن الأسود "أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت" فقال أبو البخترى "صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به" فقال المطعم "صدقتما وكذب من قال غير ذلك ونحن نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها"وقال هشام بن عمرو مثل ذلك فقال أبوجهل "هذا أمر قضى بليل" فقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا " بسمك اللهم".
قدم الطفيل بن عمرو الدوسى مكة ورسول الله » بها وكان لم يزل بعد على دين الجاهلية فمشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيبا وأرادوا أن يحذروه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائلهم: "يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد اشتد علينا أمره وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه".
بعد أن سمع الطفيل بن عمرو من قومه ما سمع أجمع أمره على ألا يسمع شيئا من محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكلمه بل بلغ به الأمر أن حشى أذنيه بقطع من القماش حتى لا يسمع منه شيئا يقول الطفيل بن عمرو الدوسى "غدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فجئت قريباً منه فأبى الله تعالى إلا أن يسمعنى بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى: إنى لرجل لبيب شاعرما يخفى على الحسن من

القبيح، فماذا يمنعنى من آن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذى يأتى
به حسنا قبلت وإن كان قبيحاً تركت فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتبعته فقلت إن قومك قالوا لى كذا وكذا وإنى شاعر فأسمع
ما أقول" قال الرسول صلى الله عليه وسلم: هات فأنشده الطفيل فقال له
الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا أقول فأسمع "ثم قرأ أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم، باسم الله الرحمن الرحيم، قل هو لله أحد.. إلى آخرها وقل
أعوذ برب الفلق... إلى آخرها وقل أعوذ برب الناس... إلى آخرها ثم عرض
عليه الإسلام، يقول الطفيل: " فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمر
أعدل منه فأسلمت وقلت، يا نبى الله إنى امرؤ مطاع فى قومى وإنى راجع
إليهم فداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم"
فقال الرسول صلى الله عليه وسلم "اللهم اجعل له آية".
خرج الطفيل إلى قومه فلما نزل بهم أتاه أبوه فقال له الطفيل: إليك عنى يا
أبت فلست منى ولست منك وإنى قد أسلمت وتابعت دين محمد، فقال أبوه:
أى بنى فدينى دينك فقال الطفيل: فاغسل وطهر ثيابك. . واغتسل أبو الطفيل
ثم جاء إليه فعرض على والده الإسلام، فأسلم، ثم أتته زوجته، فقال لها : إليك
عنى فلست منك ولست منى، فقالت زوجته: ولم بأبى أنت وأمى، فرق بينى
وبينك الإسلام ولقد تابعت دين محمد فقالت زوجته: فدينى دينك، قال الطفيل:
إذن اذهبى فتطهرى.
وتطهرت زوجته ثم رجعت إليه فعرض عليها الإسلام فأسلمت، لكن أمه لم
تسلم، ثم دعا قومه من قبيلة "دوس" إلى الإسلام فأبطأوا عليه، فجاء إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له "يا نبى الله إنه قد غلبنى على دوس
الزنا فادع الله عليهم" فقال الرسول ۰: اللهم اهد دوسا وأت بهم وقال
للطفيل: ارجع إلى قومك وارفق بهم، ورجع الطفيل إلى قومه ولم يزل
بأرضهم يدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى
المدينة ودارت معارك بدر وأحد والخندق فقدم الطفيل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمن أسلم معه، والرسول عليه الصلاة والسلام بخيبر ونزل
المدينة ومعه نحو ثمانين بيتا من "دوس" ثم لحقوا بالرسول صلى الله عليه
وسلم بخيبر فأسهم لهم الرسول مع المسلمين.

حكاية الإراشى

قدم رجل بإبل له من منطقة تسمى إراش إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ولم يدفع له أثمانها، فأقبل الرجل حتى وقف على نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى ناحية المسجد فقال الرجل: "يا معشر قريش من رجل يعيننى على أبى الحكم بن هشام فإنى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى" فقال له أهل ذلك المجلس وهم يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "أترى ذلك الرجل، اذهب إليه فهو يعينك عليه" قالوا ذلك مستهزئين فهم يعلمون ما بين أبى جهل وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من العداوة، أقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك، فقام معه الرسول وقال القوم لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع.
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء دار أبى جهل فضرب عليه بابه، فقال أبو جهل "من هذا" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "محمد فاخرج إلى" وخرج إليه أبو جهل وقد امتقع لونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أعط هذا حقه" فقال أبو جهل وهو يرتعش خوفا "نعم لا تبرح حتى أعطيه الذى له" ودخل أبو جهل ثم خرج إليه بحقه فدفعه إليه، فقال الإراشى وقد وقف على مجلس قريش "جزاه الله خيراً والله أخذ لى بحقى" وجاء الرجل الذى بعثه قومه لكى يتبع محمداً والإراشى فقال: عندما ذهبنا إلى دار أبى جهل رأيت عجبا من العجب والله ماهو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال: أعط هذا حقه. . قال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه.. فدخل ثم خرج إليه بحقه فأعطاه إياه.
ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقال قائلهم "ويلك مالك والله ما رأينا مثل ما صنعته قط" فقال أبو جهل "ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب على بابى فسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته (القصرة هى أصل العنق) ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلنى".
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوا الرسول فى المجلس فجلسوا إليه فكلموه وسألوه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم الرسول إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا إلى الله عز وجل وآمنوا بالرسول وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره فلما قاموا عنه

اعترضهم أبو جهل فى نفرمن قريش وقال لهم "خيبكم الله من ركب، بعثكم من ورا ءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال. ما نعلم ركبا أحمق منكم" فقال له الأنصار "سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً "
بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ـ اعترضه الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل السهمي وكانوا ذوى شأن في قومهم، فدعوه إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النسا ء وقال له قائلهم:
هذا لك يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة فيها صلاح.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هى؟
قال الأسود : هلم يا محمد فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت فى الأمر، فإن كان الذى نعبده خيراً بما تعبد كنا قد أخذت منه بحظك، وإن كان الذى تعبده خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا منه بحظنا.
فأنزل الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم "قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ماً تعبدون . ولا أنتم عابدون ماً أعبد . ولا أناً عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ماً أعبد لكم دينكم ولي دين . سورة الكافرون0 اقتتلت الروم والفرس فهزمت الروم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو بمكة فشق ذلك عليهم، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح الكفار بمكة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا :
إنكم أهل كتاب وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إذا قاتلتمونا لنظهرن عليكم. فأنزل الله تعالى قوله:
بسم الله الرحمن الرحيم " الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) " (سورة الروم)
لما نزلت هذه الآيات قال المشركون لأبى بكر: ألا ترى ما يقول صاحبك؟ يزعم أن الروم تغلب فارس.
قال أبو بكر: صدق صاحبى ثم خرج إلى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ولا يقرالله عينكم، فوالله ليظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا. فقام إليه أبى بن خلف فقال: كذبت
فقال أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله - فقال أبى: عشر قلائص منى وعشر قلائص منك (لقلاتص مفردها قلوص وهى الناقة الشابة) فإن ظهرت الروم على فارس غرمت أنا وإن ظهرت فارس على الروم غرمت إلى ثلاث سنين.

ثم جاء أبوبكرإلى النبى الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)
فأخبره فقال له النبى: ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزا ده وماده فى الأجل (أ ى زاد عليه ما يتراهن عليه وزاد فى الأجل إلى تسع سنين كما ورد فى الآية الكريمة) . فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال له أبى: لعلك ندمت؟
فقال أبو بكر. . لا تعال أزيدك فى الحظر وأمادك فى الأجل، فاجعلها مائة قلوص بمائة قلوص إلى تسع سنين. . فقال أبى: فعلت.
كان ذلك قبل تحريم الرهان، ولما خشى أبى بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال: إنى أخاف أن تخرج من مكة فأقم كفيلاً. . فكفله ابنه عبدالله بن أبى بكر، فلما أراد أبى بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبدالله بن أبى بكر وقال له: لا والله لا أدعك تخرج حتى تعطينى كفيلاً، فأعطاه كفيلاً، فخرج إلى أحد ثم رجع إلى مكة وبه جرح أحدثه به النبى صلى الله عليه وسلم حين بارزه يوم أحد، ومات متأثرا به بمكة. ثم ظهرت الروم على فارس فغلب أبو بكر أبياً وأخذ الحظر (أى الرهان) من ورثته، فجاء يحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام: هذا سحت (تصدق به).

وفاة أبى طالب

مرض أبو طالب واشتد ال مرض عليه، فلما بلغ قريشا ذلك، قال قائلهم: ان حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمرمحمد فى قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب، فيأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا.
فمشوا إلى ابى طالب وكانوا اشراف القوم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب وغيرهم فقال قائلهم لأبى طالب: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك، فادعه وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا وندعد ودينه.
فبعث إليه أبو طالب فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قدر مجلس رجل، فخشى أبو جهل أن جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى طالب أن يكون أرق عليه، فوثب أبو جهل فجلس فى ذلك المجلس، فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قرب عمه،

فجلس عند الباب، فقال له أبوطالب: يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم كلمة واحدة يعطونها يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال قائلهم:
كلمة واحدة؟؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم.
فقال أبوجهل: نعم وأبيك، عشر كلمات
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفق القوم بأيديهم يضربون كفا بكف ثم قال قائلهم: يا محمد تريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحدا ؟ ؟
إن أمرك لعجب.. ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه.
ثم تفرق القوم، فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: والله يا ابن أخى. ما رأيتك سألتهم شحطا.. فلما قالها أبو طالب - أحب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلن أبو طالب إسلامه.
وجعل رسول الله اي يقول لعمه: أى عم، فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة. فلما رأى أبو طالب حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك قال: لولا مخافة السبة عليك. وعلى بنى أبيك من بعدى، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأمرك بها.
لما حضرت الوفاة أبا طالب جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال:
يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى قربكم ألب، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية، فإن فيها مرضاة للرب، وقواما للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن فى صلة الرحم منسأة، فى الأجل، وزيادة فى العدد. واتركوا البغى والعقوق ففيها هلكت قرون قبلكم. أجيبوا الداعى وأعطوا السائل فإن فيها شرف الحياة والممات. عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة، فإن فيها محبة فى الخاص ومكرمة فى العام. وإنى أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش والصديق فى العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به. وأيم الله فإنى كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوبر فى الأطراف والمستضعفين من الناس وقد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤسا ء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا، وضعافها أربابا وأعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ان أبيكم، كونوا له ولاة، ولحربه حماة.

والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسى مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدوى.
بعد ذلك مات أبو طالب، وكانت وفاته، قبل موت خديجة رضى الله عنها، وفى نفس العام وقبل هجرة رسول الله إلى المدينة بثلاث سنين.
لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تطمع فيه فى حياة أبى طالب. حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا عم، ما أسرع ما وجدت فقدك
ولكن رغم ما نال الرسول صلى الله عليه وسلم من الأذى على يد قريش بعد وفاة عمه أبى طالب فإنه لم يفقد ثقته بالله وإيمانه بأن الله سوف ينصره على المشركين.
والأمثلة على ذلك كثيرة فإن كتب السيرة تروى أنه بعد موت أبى طالب اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه؛ فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه وهى تبكى: ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تبكى فإن الله مانع أباك.
ويقال إن أبا لهب؛ على الرغم من عدائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه لما بلغه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نالت قريش منه ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه بعد وفاة أبى طالب: لاسيما بعد أن ماتت خديجة رضى الله عنها فقد اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان هما موت أبى طالب وموت خديجة؛ فلزم الرسول بيته وأقل الخروج؛ عند ذلك أشفق أبو لهب على رسول الله عله. فلقد جاء أبو لهب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغه ما نالته قريش من النبى فقال له:- يا محمد، امض لما أردت وما كنت صانعا إذ كان أبوطالب حيا فاصنعه. لا واللات والعزى لا يوصل إليك حتى أموت.
وذات يوم سب ابن الغيطلة النبى صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه فولى وهو يصيح:- يا معشرقريش: صبا ابوعتية! فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب فقال لهم: ما فارقت دين عبدالمطلب، ولكن امنع ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريد.
فقالت له قريش: قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم
ومضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام يذهب ويأتى ولا يعترض له أحد من قريش، فقد هابوا أبا لهب ولكن لم تدم حماية أبى لهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً فإن الله سبحانه وتعالى لا يغيرما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وحمية الجاهلية كانت قد تمكنت من أبى لهب ولقد اشتد إيذاء قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأملوا معى قول عبدالله بن مسعود : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد فإنه كان يصلى ورهطِ من قريش جلوس وسلا جزور نحرت بالأمس

قريبا فقال أبو جهل: من يأخذ سلا هذا الجزور فيضعه على كتفى محمد إذا سجد فانبعث أشقاهم عقبة بن أبى معيط فجاء به فقذفه على ظهره صلى الله عليه وسلم ، فضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض والنبي صلى الله عليه وسلمما يرفع رأسه ، وجاءت فاطمة رضي الله عنها فطرحته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك . فلما قضى . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته رفع رأسه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذ سأل سأل ثلاثا ثم قال: اللهم عليك بالملأ من قريش، اللهم عليك بأبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية ابن خلف وعقبة بن أبى معيط وذكر السابع فلم أحفظه فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى ببدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، غير أمية بن خلف فإنه كان رجلاً بادنا فتقطع قبل أن يبلغ به إليه.
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد فلقيه أبو البخترى ومعه سوط يتخصر به، فلما رأى الرسول أحس أنه قد أصابه شىء من أذى قريش، فقال للرسول صلى الله عليه وسلم: مالك؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: خل عنى قال أبو البخترى: يعلم الله لا أخلى عنك أو تخبرنى ما شأنك فلقد أصابك شىء.
فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مخل عنه أخبره وقال: إن أبا جهل أمر فطرح عليه فرث. فقال أبو البخترى:
هلم إلى المسجد
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو البخترى فدخلا المسجد، ثم أقبل أبو البخترى على أبى جهل فقال له:
يا أبا الحكم أنت الذى أمرت بمحمد فطرح عليه الفرث؟
قال: نعم
قال أبو البخترى: إذن خذ على رأسك وضرب أبا جهل بالسوط على رأسه.
فصاح أبو جهل: ويحكم إنما أراد محمد أن يلقى بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه.
عن أنس رضى الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه، فقام أبو بكر فجعل ينادى: ويلكم. . أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله..
ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال. . أيها الناس أخبرونى بأشجع الناس، قالوا: لا نعلم.. قال: فمن؟ فقال واحد من المسلمين: أبو بكر.. لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش، وهذا يجؤه وهذا يتلتله وهم يقولون.. أنت الذى جعلت الآلهة
إلها واحدا.. والله ما دنا منه منا أحد إلا ابو بكر يضرب هذا ويجالد هذا ٠ ويتلتل هذا ويقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟

ثم رفع على رضى الله عنه بردة كات عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟
فسكت القوم. فقال: ألا تجيبونى؟ فوالله لساعة من أبى بكر خير من مثلى مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.

الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى. فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفرمن ثقيف فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما جاء به من نصرته والقيام على من خالفه من قومه.. فقال له أحدهم:
إن كان الله أرسلك
وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك؟
وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغى لى أن أكلمك.
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد قال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على فقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه، وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف عدة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاء إليه وكلمه فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه، وقالوا له: يا محمد اخرج من بلدنا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.
ولكم احتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى فى سبيل الدعوة.
ومع ذلك صبر ولم ييأس من رحمة الله ونصرته له..
لقد وقف له القوم صفين على طريقه، فلما مر رسول الله ٠ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه.. وكان صلى الله عليه وسلم إذا أذلقته الحجارة يقعد إلى الأرض، فيأخذون بعضديه ويقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون لقد ظل زيد معه، وكان يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه.
وقد خلص منهم الرسول صلى الله عليه وسلم ورجلاه تسيلان دما.. فعمد إلى حائط من حوائطهم فاستظل بظله وهو مكروب موجع، وإذا فى الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله. فانصرف حتى أتى ظل شجرة فصلى ركعتين. .ودعا الله فقال: اللهم إنى أشكوإليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى، الى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو تحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول

ولا قوة إلا بك. فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهم فدعوا غلاما لهما يقال له عداس فقالا له: خذ له هذا القطف من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له: يأكل منه.
ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: كل. . فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس فى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أى البلاد أنت يا عداس وما دينك؟ فقال عداس: نصرانى وأنا من أهل نينوى.
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى.. فقال عداس، وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما يونس ابن متى، فمن أين عرفت أنت يونس بن متى وأنت أمى وفى أمة أمية؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك أخى كان نبيا وأنا نبى.. فأكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه - فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.
فلما جاء عداس قالا له: ويلك، ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟
قال عداس : يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل ، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي ، فقال عتبة بن ربيعة : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه .
وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة.
قالت عائشة رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت أحد. فانطلقت على وجهى وأنا مهموم فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادانى وقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال فتأمر بما شئت فيهم. فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال قد بعثنى الله عز وجل لتأمرنى بما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئا.
لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته أقام بنخلة أياما وأراد الرجوع إلى مكة، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك؟ فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجا وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه.. ثم انتهى إلى حراء وبعث عبدالله بن أريقط إلى الاخنس بن شريق ليجيره.. فقال الأخنس: أنا حليف والحليف لا يجير. فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال: إن بنى عامر بن لؤى لا يجير على بنى كعب.. فبعث إلى المطعم بن عدى فأجابه إلى ذلك وقال: نعم قل له فليأت.
فرجع عبدالله بن أريقط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قال له المطعم وقبوله أن يجيره فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة؛ فلما أصبح خرج المطعم بن عدى وقد لبس سلاحه هو وبنوه وقالوا لرسول الله : طف وهم يحملون سلاحهم؛ فأقبل أبو سفيان إلى المطعم بن عدى فقال له: أمجير أم تابع؟ قال: بل مجير
قال أبو سفيان: إذن لا تخفر قد أجرنا من أجرت. . ثم جلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه. فلما انصرف إلى بيته انصرفوا معه. والمطعم بن عدى هذا مات كافرا وقد مات بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. ومن أجل هذه السابقة للمطعم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد معركة بدر: لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى (يعنى أسارى بدر) لأطلقتهم له.
ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ويخبرهم أنه نبى مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يتبين من الله عز وجل ما بعثه به. . يقول ربيعة بن عباد
إنى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله · يقف على القبائل من العرب فيقول: يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلصوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله عز وجل ما بعثنى به. يقول الرسول ذلك والناس متقصفون عليه ما رأيت أحدا يقول له شيئا. وهو لا يسكت، وخلفه رجل أحول وضى له غديرتان، عليه حلة، عدنية، فإذا فرغ رسول الله ي من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل:
يا بنى فلان إن هذا الرجل إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه.
فلما سكت هذا الرجل قلت لأبى: يا أبت من هذا الرجل الذى يرد عليه ما يقول ويتبعه حيث ذهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يفر منه. قال: هذا عمه عبدالعزى بن عبدالمطلب أبو لهب.
عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: لما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه، فدفعنا إلى مجلس من القوم عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة. فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بأبى وأمى هؤلاء عزر الناس. ومنهم مفروق بن عمرو

وهانىء بن قبيصة، والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك. وكان مفروق قد غلبهم لسانا وجمالاً، وكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال مفروق: إنا لا نزيد الألف، ولن تغلب ألف من قلة.
فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلتقى وأشد ما نكون لقاء حين نغضب. وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى. ثم تساءل: لعلك أخا
قريش؟
فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا.
فقال مفروق: إلام تدعونا يا أخا قريش؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤونى وتنصرونى فإن قريشاً قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد.
قال مفروق: وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ والله ما سمعت كلاما أحسن من هذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم
" قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) " الأنعام . قال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وهذا هانىء شيخنا وصاحب ديننا.
وقال هانىء: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإنى أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له ولا آخر لذل فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة. إن الذلة مع العجلة وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقد. ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر. . وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا.
فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانى بن قبيصة فى تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وإنا إنما نزلنا بين صربين أحدهما اليمامة والآخر السمامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذان الصربان؟
قال المثنى: أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وأما ما كان مما يلى مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا ، ولا نؤوي محدثا ، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليهه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك. فإن أحببت أن نؤويك وننصرك بما يلى مياه العرب فعلنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق. وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم وأموالهم، ويفرشكم نساءهم، أتستحبون الله تعالى وتقدسونه؟
فقال النعمان: اللهم فلك ذاك.
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" ياا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيرا (46) (الأحزاب)
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق عكاظ فهتف بالناس قائلاً: ممن القوم؟ فردوا عليه نحن من بنى عامر بن صعصعة، بنى كعب بن ربيعة.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى رسول الله إليكم وأتيتكم لتمنعونى حتى أبلغ رسالة ربى ولا أكره أحدا منكم على شىء..فقالوا : لا نؤمن بك، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك.
فأتاهم بيجرة بن فراس القشيرى فقال: من هذا الرجل الذى أراه عندكم؟ أنكره فقالوا : هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب.
قال: فما لكم وله؟
قالوا : زعم أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه.
قال بيجرة: فما رددتم عليه؟
قالوا : بالرحب والسعة، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع منه أنفسنا.
قال بيجرة: ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشىء أشر من شيء ترجعون به أتعمدون إلى رهيق قوم طردوه وكذبوه فتؤوه وتنصروه. تنابذوا العرب عن قوس واحدة؟ قومه أعلم به فبئس الرأى رأيكم.
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناقته ليركبها فغمز الخبيث بجيرة شاكلها فتقمصت برسول الله صلى الله عليه وسلم فألقته. وعند بنى عامر يومئذ ضباعة بنت عامر بن حوط، وكانت من النسوة
اللاتى أسلمن بمكة، جاءت زائرة إلى بنى عمها فقالت: يا لعامر، ولا عامر لى، أيصنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ولا يمنعه أحد منكم؛
فقام ثلاثة نفر من بنى عمها إلى بجيرة واثنين أعاناه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطما، فقال رسول الله عيها: اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء. فأسلم الثلاثة الذين نصروه، وهلك الآخرون.
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى عامر يدعوهم إلى الله تعالى فقام رجل منهم فقال: عجبا لك والله قد أعياك قومك ثم أعياك أحياء العرب كلها حتى تأتينا وتتردد علينا مرة بعد مرة؟ والله لأجعلنك حديثا لأهل الموسم.

ونهض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جالسا فكسرالله ساق الخبيث، فجعل يصيح من رجله وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كندة فى منازلهم فعرض نفسه عليهم فأبوا ، فقال أصغر القوم: يا قوم اسبقوا إلى هذا الرجل. قبل أن تسبقوا إليه، فوالله إن أهل الكتاب ليحدثونا أن نبيا يخرج من الحرم قد أظل زمانه.

ومع ذلك فقد أبى القوم وقدم سويد بن الصامت مكة حاجاً أو معتمرا، وكان سويد إنما يسميه قومه "الكامل" ، لجلده وشعره وشرفه ونسبه، فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه إلى الله تعالى وإلى الإسلام. فقال سويد: لعل الذى معك مثل الذى معى؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما الذى معك؟

قال سويد: مجلة لقمان.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعرضها على، فعرضها عليه، فقال عليه الصلاة والسلام: هذا كلام حسن والذى معى أفضل من هذا: قرآن أنزله الله تعالى هو هدى ونور، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن ودعاه إلى الإيمان، فقال سويد: إن هذا القول حسن

ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج، فكان رجال قومه يقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

" ولقد اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (32) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (34) (الرعد)

كثيراً ما استهزىء برسول الله صلى الله عليه وسلم وشاءت إرادة الله أن يلقى هؤلاء المستهزئون سوء العاقبة فى الحياة الدنيا، من هؤلاء الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة، وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه: قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر.

وإذا لقى رسول الله قب قال له مستهزئا : أما كلمت اليوم من السماء يا محمد ؟

لكن الله تعالى كان له بالمرصاد ، فقد خرج الأسود من عند أهله يوما ما وعذبته السموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا، فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب، فرجع هائما على وجهه حتى مات عطشا.

ومن هؤلاء المستهزئين الحارث بن قيس السهمى وهو ابن العنيطلة (ينسب إلى أمه) ، وكان يأخذ حجرا يعبده، فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن

وكان الحارث يقول لقومه:
لقد غر محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الأيام والأحداث.
وفيه نزل قول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم
" أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)"(النرقان)
وكانت نهاية الحارث ان أكل حويتا مملوحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه.
ومن هؤلاء المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى، وقد كان هو وأصحابه يتغامزون على النبى صلى الله عليه وسلم وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام شق عليه فدعا عليه الرسول أن يعمى الله بصره ويثكله ولده.
خرج الأسوه ليستقبل ابنه وقد قدم من الشام، فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة، فجعل جبريل صلى الله عليه وسلم يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها وبشوك من شوكها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه: أدركنى يا غلام، أغثنى، من ذا الذى يضربنى على وجهى وعينى حتى ما عدت أرى قال الغلام: والله ما أرى أحداً يصنع بك شيئا غير نفسك ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الأسود وقتل أيضا ابنه عقيل.
ومن المستهزئين أيضا مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان، وكان سفيها فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعاذ بالله من شره فعصر جبريل بطنه حتى خرج خلاؤه من بطنه فمات.
يقول الله تبارك وتعالى فى محكم آياته: بسم الله الرحمن الرحيم
" إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99) "(الحجر)
كثيرا ما يتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم للأذى من كفار قريش، ولطالما استهزءوا به، وشاءت إرادة الله عز وجل أن يلقى هؤلاء المستهزئون سوء العاقبة فى الحياة الدنيا.
ومن هؤلاء العاصى بن وائل السهمى.. وتعالوا بنا نستمع إلى حكايته يرويها خباب ابن الأرت يقول: كنت حدادا فى الجاهلية، فعملت للعاصى بن وائل سيفا فجئته أتقاضاه وآخذ ثمنه فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. قلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث.
فقال العاصي : وإني لميت ثم مبعوث؟
فقال العاصى: يعنى أموت وأبعث فنؤتى مالاً وولدا فأعطيك هنالك حقك، ووالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثر عند الله منى ولا أعظم حظا.
فأنزل الله تعالى فيه: بسم الله الرحمن الرحيم

" أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80)" مريم
ولقد كانت نهاية العاصى بأن ركب حمارا وهو يريد الطائف، فلما نزل شعبا من الشعاب ألقى به الحمار على ضريع رطب، فأصابت رجله شوكة فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ومات.
وكان من الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستهزءوا به أبو لهب.
وكان من أشد الناس عداوة للنبى.
عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت بين شر جارين، بين أبى لهب وعقبة بن أبى معيط، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابى.
وبعث أبو لهب ابنه عتبة بشىء يؤذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعه يقرأ.. والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى. فقال عتبة: أنا كافر برب النجم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلط الله عليك كلبا من كلابه .
فخرج عتبة فى تجارة، فجاء الأسد وهو بين أصحابه نائم بحوران من أرض الشام، فجعل الأسد يهمس ويشم حتى انتهى إليه فمضغه مضغة أتت عليه، فجعل يقول وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس؟
أما أبو لهب فقد مات بداء يعرف بالعدسة، كانت العرب تتشاءم به وتفر بمن ظهر به. فلما أصاب أبا لهب تركه أهله حتى مات، ومكث مدة لا يدفن حتى خافوا العار فحفروا له حفرة فرموه فيها .
أما امرأة أبي لهب "أم جميل ابنة حرب فكانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً وهى التى سماها الله عز وجل حمالة الحطب؟ ولقد أسماها الله تعالى كذلك لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه بالليل على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر هو وأصحابه لتعقرهم بذلك. وبينما هى ذات يوم تحمل حزمة من الشوك حتى أعيت فقعدت على حجر لتستريح فأتاها ملك فجذبها من خلفها بالحبل الذى فى عنقها فخنقها به.
بسم الله الرحمن الرحيم " تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد ." (المسد)

الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم
"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركناً حوله لنريه من آياتناً إنه هو السميع البصير" (الاسراء)
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلة الإسراء والمعراج، أتى مكة قبل الصبح فأخبر قومه بما رأى، لكن القوم كذبوه، فقعد حزينا حتى مر عليه عدو لله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه وقال له كالمستهزىء: هل كان من شيء؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم
قال: ما هو؟
فقال عليه الصلاة والسلام: أسرى بى الليلة.
فتسا،ل أبولهب: إلى أين؟
قال عليه الصلاة والسلام: إلى بيت المقدس
فقال أبو جهل معجبا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ا!
أجابه الرسول ٠: نعم
قال أبو جهل: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم بما حدثتنى؟
فقال عليه الصلاة والسلام : نعم. . فدعا أبو جهل القوم فجاءوا فقال أبوجهل: حدث قومك بما حدثتنى.
قال عليه الصلاة والسلام: إنى أسرى الليلة بى.
قال أبوجهل: إلى أين؟
قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إلى بيت المقدس.
قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟
قال عليه الصلاة والسلام : نعم، فصار القوم بين مصفق، وبين واضع يده على رأسه متعجبا. وأحدثوا ضجيجا عاليا.
فقال المطعم بن عدى: كل أمرك قبل اليوم كان اقماً (أى يسيرا) غير قولك اليوم، أنا أشهد أنك كاذب. نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهراً ومنحدراً شهراً .. أتدعى أنت أنك أتيته فى ليلة؟ واللات والعزى لا أصدقك.
فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لمطعم: بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبته.
أما أنا فأشهد أنه صادق. ثم قال قائل القوم للنبى: يا محمد. . صف لنا بيت المقدس، كيف بناؤه وكيف هيئته ؟ وكيف قربه من الجبل ؟

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف لهم بناءه وهيئته وقربه من الجبل.
وسأل أحدهم: وكم للمسجد من باب؟
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عدها، فجيء له بالمسجد، حتى رآه رأى العين، فجعل ينظر إليه ويعدها بابا بابا ويعلمهم بذلك، وأبو بكر يقول: صدقت - صدقت، أشهد أنك رسول الله.
فقالوا لأبي بكر:
أفتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟
قال أبو بكر: إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوه أو رواحه. فقالوا: يا محمد اخبرناعن عيرنا ؟
فقال عليه الصلاة والسلام: أتيت على عير بنى فلان بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم، فانطلقوا فى طلبها، فانتهيت إلى رحالهم فليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه، ثم انتهيت إلى عير بنى فلان فى التنعيم، يقدمها جمل أورق عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان، وها هى ذى تطلع عليكم من الثنية فقال قائلهم: ومتى تجيء؟
قال عليه الصلاة والسلام: يوم الأربعاء.. فلما كان ذلك اليوم انصرفت قريش ينظرون حتى دخلت العير. .

أهل العقبة الأولى

ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى كل موسم على القبائل ويدعوهم إلى الله تعالى ويطلب منهم أن يؤووه وينصروه، ويمنعوا قريشا من تظاهرهم عليه، فيعرضون عنه تارة بالرد الجميل وأخرى بالرد القبيح، وأقبحهم ردا قبيلة بنى حنيفة التى منها مسيلمة الكذاب، وبنو عامر الذين طلبوا منه أن يكون لهم الأمر من بعده، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأمر لله يضعه فيمن يشاء.
وذات يوم وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عند جمرة العقبة سنة إحدى عشرة من النبوة، إذ لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، وكانوا ستة وقيل ثمانية فكلمهم ودعاهم إلى الإسلام فقال بعضهم لبعض: ان هذا هو النبى الذى كانت تعدكم به اليهود فلا يسبقكم إليه أحد.
فأجاب القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وصدقوه وقالوا له: قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة ما بينهم، فأن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

وقفل القوم راجعين إلى بلادهم بعد أن وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يلقوه فى الموسم القادم.. هؤلاء هم أهل العقبة الأولى، وأول من أسلم من أهل يثرب.

أهل العقبة الثانية

ولما كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً، اثنان من الأوس وعشرة من الخزرج، منهم خمسة من أهل العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على الإسلام وعلى أن يؤوه وينصروه إلى بلدهم. . وهؤلاء هم أهل العقبة الثانية.
يقال دائما قدم الأنصار، أو فعل الأنصار كذا وكذا، فهل كان هذا هو اسم هؤلاء القوم فى الجاهلية؟
كلا لم يكن الأنصار اسمهم هكذا فى الجاهلية بل أسماهم بذلك المولى سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز لأنهم هم الذين نصروا رسول الله ٠٠ يروى عن غيلان بن جرير قال.. قلت لأنس: أرأيت اسم الأنصار كنتم تسمعون به أم سماكم الله؟
قال: بل سمانا الله عز وجل.
والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم آياته:
" والذين آووا ونصرو أولئك هم المؤمنون حقا ." (الأنفال) والأنصار حزبان.. الأول بنو الأوس والثانى بنو الخزرج. والأوس والخزرج هم ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء، فقد لقب بذلك لطول عنقه، وينتهى نسبهما إلى امرىء القيس الشاعرالجاهلى المعروف. ثم إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام.
وكان للأنصارمنزلة خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وعنه أيضا أنه قال: آية الإيمان حب الأنصاروآية النفاق بغض الأنصار.
وهناك أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حب الرسول للأنصار ومنزلتهم الكبيرة عنده .
وعلى إثر العقبة الثانية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير إلى المدينة ومعه عبدالله ابن أم مكتوم، يعلمان من أسلم القرآن وأمور الدين، ويدعوان إلى الإسلام من لم يسلم، وكان مصعب هو الذى يؤمهم فى الصلاة وصلى بهم أول جمعة فى الإسلام حين بلغ المسلمون منهم أربعين رجلاً.

وفشا الإسلام فى الأنصار وأسلم سعد بن عبادة سيد الخزرج، وسعد بن معاذ سيد الأوس وكان قد هم بقتل مصعب حين دعاه إلى الإسلام فقال له مصعب بلين: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره. فقرأ عليه مصعب القرآن فاستحسن دين الإسلام وأسلم ورجع لقومه فقال: كلام رجالكم ونسائكم على حرام أو تسلموا فلم يبق بيت من البيوت إلا أجابه، وانتشر الإسلام بيثرب، ولم يكن لهم حديث إلا أمر الإسلام.
لما كان وقت الحج فى العام الذى تلا العقبة الثانية وقد وافق السنة الثالثة عشرة من البعثة ذهب مصعب بن عمير إلى مكة فى شهر ذى الحجة ومعه من المسلمين ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم أحد عشر من الأوس والباقى من الخزرج وهم مستخفون من الكفار، فلما اجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم واعدوه أن يجتمعوا به وسط أيام التشريق ليلاً بالعقبة.. فقالوا للرسول: يا رسول الله علام نبايعك؟
فقال عليه الصلاة والسلام: تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، وعلى النفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أن تقولوا فى الله ولا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصرونى إذا قدمت عليكم يثرب، تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة.
فقام وفد الأنصار ليبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ بيده أسعد بن زرارة فقال: رويدا يا أهل يثرب فإنا لم نضرب إليه أكباد المطى إلاونحن نعلم أنه رسول الله وأن إخراجه اليوم يعنى مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله فقال له القوم من الأنصار:
ابسط يدك يا أسعد بن زرارة فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها وقام القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعونه رجلاً رجلاً يأخذ عليهم شرطه ويعدهم على ذلك الجنة وقام كبيرهم البراء بن معرور فقال: لو كان فى أنفسنا غير ما تنطق به لقلناه، ولكن نريد الوفاء والصدق وبذل المهج دون رسول الله . ثم تخير منهم رسول الله صلى الله عليه وسلماثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وقال لهم : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي . ولما علمت قريش بما حدث، عظم الأمر بين المشركين والأنصار حتى كاد أن يكون بينهم قتال. . لكن أبا جهل كره القتال فى تلك الأيام فقال لهم: يا معشر الأوس والخزرج أنتم إخواننا وقد أتيتم أمراً عظيما، تريدون أن تغلبونا على صاحبنا ؟
فاعترضه حارثة بن النعمان وقال له: نعم وأنفك راغم، والله لو نعلم أنه أمر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجك أيضا لأخرجناك.

فقال آبو جهل: نعرض عليكم آن نلحق بكم من آصحاب محمد من شاء بعد ثلاثة أشهر، ونعطيكم ميثاقا ترضون به أنتم ومحمد لا نحبسه بعد ذلك.
فقال حارثة: نعم إذا رضى رسول الله ...
قفل الأنصارعائدين إلى المدينة، فلما علمت قريش بذلك اقتفوا أثرهم وخرجوا فى طلبهم. فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وكلاهما كان نقيبا.
أما المنذر فقد أفلت منهم وأما سعد فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه بشراك رحله (أى حبل راحلته) ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويعذبونه ويجذبونه من شعره ويروى سعد بن عبادة ماحل به فيقول: والله إنى لفى أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضى، أبيض شعشاع حلو من الرجال، قلت فى نفسى: إن كان عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا منى رفع يده فلطمني لطمة شديدة فقلت فى نفسى: والله ما عندهم بعد هذا خير فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى لى رجل ممن كان معهم فقال: ويحك اما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد ؟
قلت: بلى والله . ولقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدى تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى، وللحرث بن حرب بن أمية أيضا.
قال أبو البخترى: ويحك فأهتف باسم الرجلين وأذكر ما بينك وبينهما.
ففعلت ما قال وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما ويذكر أن يينه وبينكم جوارا قالوا: ومن هو؟
قال الرجل: سعد بن عبادة
قال: صدق والله. . إنه كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده.
وجاء الرجلان وخلصا سعد بن عبادة من أيديهم.

الهجرة

لما خرج الأنصار عائدين إلى المدينة بعد أن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوما أهل حرب ونجدة ثم جعل المشركون يضيقون على المسلمين ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى فشكا ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة فأذن لهم فى الهجرة إلى المدينة.
وكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد الأسد فقد هاجر وحبست عنه امرأته أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة وظلت بمكة سنة ثم أذن لها بنو المغيرة الذين حبسوها باللحاق بزوجها.
انطلقت وحدها مهاجرة حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة وكان يومئذ مشركا. فسار بها حتى إذا أقبل على قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال لها: هذا زوجك فى هذه القرية ثم انصرف راجعا إلى مكة فكانت أم سلمة تقول:
ما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجرة، ثم أتى إلى شجرة فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم بعد عنى وقال اركبى، فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى. فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة.
وتوالت بعد ذلك هجرة المسلمين إلى المدينة واحدا بعد الآخر وكان المسلمون يهاجرون سرا خوفا من أن يلحق بهم بطش الكفار، إلا عمر بن الخطاب.. فكانت هجرته دونهم جمبعا علانية
فعن علي رضي الله عنه قال :ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاًجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى فى يده أسهما ، واختصر عترته (أى ضمها إلى خاصرته وهى مثل نصف الرمح ولها سنان مثل سنان الرمح) ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين. ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم: شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده، أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى.
منتهى الشجاعة.. ومنتهى التحدى من عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمشركى قريش.

وكان من الذين هاجروا من مكة إلى المدينة عياش بن أبى ربيعة وقد قدم إليه فى المدينة أبوجهل والحارث بن هشام، وكان ان عمهما وأخاهما لأمهما فقالا لعياش: إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك.
فرق لهما عياش. . فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فواله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش:
أبر قسم أمى ولى هنالك مال فآخذه. أقام رسول الله · بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن إلا على بن أبى طالب، وأبوبكر بن أبى قحافة رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً، فيطمع أبو بكر أن يكون هو صاحبه وكان نفر من الأنصار قد بايعوا رسول اله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الثانية ثم رجعوا إلى المدينة فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدموا مع أصحابه فى الهجرة.. وهم ذكوان بن عبد قيس وعقبة بن وهب بن كلدة، والعباس بن نضلة وزياد بن لبيد.
لما نزل قول اله تعالى.. بسم اله الرحمن الرحيم
" فل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون ."(سورة الزمر)
كتبها سيدنا عمر بن الخطاب فى صحيفة بيده وبعث بها إلى هشام بن العاص، فقال هشام: لما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى (واد بمكة) أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمهما حتى قلت: اللهم فهمنيها. .
فألقى الله تعالى فى قلبى أنها أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا، فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم .
يقول ابن هشام: حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة " من لى بعياش بن ربيعة وهشام بن العاص، فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: إنا لك يا رسول الله بهما.
فخرج الوليد إلى مكة فقدمها مستخفيا فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها:
أين تريدين يا أمت الله ؟
قالت: أريد هذين المحبوسين
وكانت المرأة تعنى عياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص، فتبعها الوليد حتى عرف بوضعهما وكانا محبوسين فى بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما (والمروة حجارة بيض براقة تقدح منها

النار، وبها سميت المروة بمكة) ثم ضربهما الوليد بسيفه فقطع قيديهما ومن هنا كان يقال لسيفه (ذو المروة) ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت إصبعه فقال:

هل أنت إلا إصبع دميت ؟   وفى سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله ٠ ثم تتابع المهاجرون أفواجا.

لما أراد صهيب الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك وبنفسك؟

والله لا يكون ذلك.

فقال لهم صهيب: أرأيت إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى؟

قالوا: نعم..

قال: فإنى جعلت لكم مالى.

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ربح صهيب ربح صهيب.

لما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا فى الأنصار فى دورهم وآووهم ونصروهم وآسوهم وكان سالم مولى أبى حذيفة يؤم المهاجرين بقباء قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم.

لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم. ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا جوارا ومنعة توجسوا من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوة، وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها. يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر النبى ٠٠ فاعترضهم إبليس عليه لعنة الله فى هيئة شيخ جليل، فوقف على باب الدار، فلما رأوه على بابها قالوا : من الشيخ؟

قال إبليس: شيخ من أهل لجد سمع بالذى اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ألا تعدموا منه رأياً ولا نصحا.

قال الكفار: أجل فادخل . فدخل إبليس معهم فقال بعضهم لبعض وهم يتآمرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا فتشاوروا.

ثم قال قائل منهم قيل إنه أبو البخترى بن هشام: احبسوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم. فقال لهم إبليس لعنه الله: لا والله ما هذا لكم برأى، والله لوحبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعونه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم. ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره قالوا : إذن نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من

بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا والفتنا.
فقال إبليس معترضا: لا والله ما هذا لكم برأى، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال مما يأتى به؟ والله لوفعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد. دبروا فيه رأيا غير هذا.
عندئذ قال أبو جهل بن هشام: والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه بأجمعهم فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً.
أعجب القول إبليس وأيد أبو جهل وقال: القول ما قال الرجل، هذا الرأى لا أرى غيره وتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.
فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه، وأخبره بمكر القوم، وأذن الله تعالى له بالخروج. . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم. فلما اجتمعوا قال أبو جهل بن هشام: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن أنتم لم تفعلوا كان فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نارا تحرقون فيها. فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال: نعم أنا أقول ذلك وأنت أحدهم. وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل يذرى ذلك التراب علي رؤوسهم، وهو يتلو قول الله تعالي: " يس (1) وَالْقُرْآَنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) "(سورة يس) فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم علي المشركين الذين تآمروا على قتله وأخذ فى يده حفنة من التراب، وجعل يقرأ آيات من سورة يس إلى أن وصل إلى قوله تعالى "فأغشيناهم فهم لا يبصرون" وأتى المشركين واحد من قومهم لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ها هنا؟

فقالوا له: محمداً فقال: خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما تنظرون ما بكم ووضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا فى الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائم عليه برده ولم يزالوا كذلك حتى أصبحوا، فقام على رضى الله عنه من الفراش فقالوا. والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور وكان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج على القوم المتآمرين أخذ يقرأ الآيات الأولى من سورة يس إذ يستحب قراءتها عند الخوف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد روى الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن النبى صلي الله عليه وسلم فى ذكر فضل (يس) أنها إن قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسى أو عاطش سقى حتى ذكر خلالاً كثيرة.

روى الحاكم عن على بن الحسين رضى الله عنه، قال: إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله على وقال فى ذلك شعراً :

وقيت بنفسى خير من وطىء الحصى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الله خاف أن يمكروا به
فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله فى الغارآمناً
موقي وفى حفظ الإله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهموننى
وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

يقول ابن إسحق: كان مما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: " وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " (سورة الأنفال) وأنزل الله تعالى أيضاً قوله عز وجل:

" فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإني معكم من المتربصين" (سورة الطور)

ولكن ما الذى منع المشركين الذين تربصوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يتقحموا على على ابن أبى طالب رضى الله عنه وهو نائم مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنهم كانوا يظنونه الرسول، ولماذا ظلوا قياما حتى أصبحوا ؟

إن بعض أهل السير ذكروا السبب المانع من ذلك فقالوا: إنهم هموا بالدخول عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض: والله إنها لسبة فى العرب

أن تتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا وثمة أسباب أخرى ذكرها أهل السير.
لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة من مكة إلى المدينة نزل عليه قول الحق تبارك وتعالى: "وقل رب أدخلنبي مدخل صذق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا "(سورة الإسراء) ويروى عن السيدة عاشة رضى الله عنها أنها قالت: لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية فبينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة.. قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً فى ساعة لم يكن يأتينا فيها. وقال أبوبكر: فداء له أبى وأمى. . والله ماجاء به فى هذه الساعة إلا أمر.
تقول السيدة عائشة: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن. فأذن له فدخل.. فتأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر: يا رسول الله ماجاء بك إلا أمر حدث.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر: أخرج من عندك.
فقال أبو بكر: لا عين عليك إنما هما ابنتاى.. فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة.
فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله.. قال: نعم.
تقول السيدة عاشة: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ..
وتروى كتب السيرة كثيراً من الأحداث والمواقف التى وقعت خلال هذه الفترة وهى فترة التأهب للخروج من مكة فى الطريق إلى المدينة من ذلك مثلاً ذلك الحوار الذى دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبى بكر خاصا بالراحلة التى يركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء هجرته فلقد عرض أبو بكر على رسول الله علة أن يأخذ إحدى راحلتيه.
وقال له: يا رسول الله .. خذ إحد راحلتي هاتين.
فقال عليه الصلاة والسلام: بالثمن. . لا أركب بعيرا ليس هو لى.
قال أبوبكر: فهو لك.
فقال عليه الصلاة والسلام: لا. . ولكن بالثمن الذى ابتعتها به.
فقال أبو بكر: أخذتها بكذا.. وكذا
فقال عله: أخذتها بذلك
فقال أبو بكر: هى لك
ثم استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً لكى يكون دليلاً لهما.. ودفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما.

حكاية ذات النطاقين

إنها أسماء بنت أبى بكر تروى السيدة عائشة رضى الله عنها
حكايتها فتقول: إنهم جهزوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر جهازهما فى السفر وصنعوا لهما سفرة فى جراب فشقت أسماء بنت أبى بكر نطاقها قطعتين فأوكت [أى ربطت وغطت] بقطعة من الجراب - وشدت فم القربة بالثانى فسميت ذات النطاقين.
ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لها نطاقين فى الجنة.
أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التى كانت عنده للناس.
ولم يكن بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلم من صدقه وأمانته. .
ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقد خرجت من الخوخة (مكان بمكة) متنكراً فكان أول من لقينى أبو جهل فأعمى الله عز وجل بصره عنى وعن أبى بكر حتى مضينا.
تقول أسماء بنت أبى بكر: خرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم. . وفى ذلك يقول البلاذرى: كان مال أبى بكر يوم أسلم أربعين ألف درهم فخرج إلى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة.
وتمضى أسماء فتقول: دخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه تقول أسماء. . فقلت له.. كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا.. ثم أخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة في البيت كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه، وقال:
لا بأس. . إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم.
تقول أسماء.. لا والله ما ترك لنا شيئا ولكنى أردت أن أسكت الشيخ. لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فى طريقهما إلى غار ثور، جعل أبو بكر يمشى مرة أمام النبي صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله " فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لآمن عليك.
إنه نموذج رائع للفداء والإخلاص والتفانى فى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستعداد لفدائه..
وإن قصة الهجرة حافلة بآيات الحب والفداء وآية ذلك ما فعله أبو بكر عندما انتهى هو والنبى إلى فم الغار.

لقد قال أبو بكر للرسول صلى الله عليه وسلم : والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شىء نزل بى قبلك. ثم دخل أبو بكر الغار فجعل يتلمس بيده، وكلما دخل حجرا قام إلى ثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، فبقى جحر، فوضع عقبيه عليه، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت الحيات يلسعن أبا بكر رضى الله عنه وجعلت دموعه تنحدر.. ولما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر قائلاً (أين ثوبك) أخبره أبو بكر بالذى صنع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال: اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة، فأوحى الله إليه: قد استجاب الله سبحانه وتعالى لك.
وأنبت الله تعالى شجرة على باب الغار فحجبت عن الغار أعين الكفار، وبعث الله العنكبوت فنسجت خيوطها على باب الغار، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا فى فم الغار، وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم على أربعين ذراعا جعل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له: ما لك؟
رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد. .
وكان النبى ٠ قائما يصلى وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء قومك يطلبونك. أما والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا تخف إن الله معنا.
ويروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغارب لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصرنا تحت قدميه، فقال عليه الصلاة والسلام: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟
استأجر المشركون رجلاً يقال له علقمة بن كرز بن هلال الخزاعى، فقفا لهم الأثر حتى انتهى إلى غار ثور فقال:
هاهنا انقطع أثره ولا أدرى أخذ يمينا أم شمالاً أم صعد الجبل. فلما انتهى إلى فم الغار قال أمية بن خلف: ما أربكم فى الغار؟ إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد.
ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت السكينة من الله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم
"إلأ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معناً فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم "   (سوره التوبة)
لما مضت ثلاث ليال ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ومعه صاحبه أبو بكر رضى الله عنه، أتاهما صاحبهما الذى استأجراه فركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل. وأردف أبو بكر عامِر بن فهيرة مولاه ليخِدمهما فى

الطريق وأخذ بهما الدليل طريق الساحل آسفل من عسفان ثم آجاز بهما حتى عادا من الطريق على لحج.. يقول محمد بن إسحق: بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج مهاجراً قال:
الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام، اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللنى، وعلى صالح خلقى فقومني، وإلى ربى فحببنى وإلى الناس فلا تكلنى أنت رب المستضعفين وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض فكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن يحل بى غضبك، أو ينزل على سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاءة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك، لك العتبى خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بك.
لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة ودليلهم مروا على خيمة أم معبد الخزاعية فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، وقالت لهم: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بها من لبن؟
قالت أم معبد: هي أجهد من ذلك
قال لها الرسول: أتأذنين لى أ
ن أحلبها ؟
قالت: بأبى أنت وأمى - إن رأيت بها حلبا فاحلبها فوالله ما ضربها فحل قط فشأنك بها.
فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله عز وجل ودعا لها فى شاتها، فدرت، ودعا بإناء يروى الرهط فحلب فيه حتى علاه الثمال، ثم سقاها حتى رويت، ثم سقى أصحابه حتى رووا ٠ ثم شرب صلى الله عليه وسلم آخرهم وقال ساقى القوم آخرهم شربا، ثم حلب فيه ثانية حتى ملأ الإنا ء ثم غادره عندها وارتحلوا عنها..
وما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حيالاً عجافا ، فلما رأى اللبن عجب فقال:
من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب فى البيت؟
قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك مسح بيده ضرع الشاة وظهرها وسمى الله عز وجل فدرت.
قال: صفيه لى يا أم معبد. .
قالت: رأيت رجلاً طاهر الوضاءة، أبلج الوجه حسن الخلق، لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة. وسيم قسيم، فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف وفى صوته صحل وفى عنقه سطع، وفيِ لحيته كثافة، أزج أقرن، إن صِمت فعليه الوقار،

وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه من قريب، حلو المنطق فصل لا نذر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.
قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره بمكة ما ذكره، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجد إلى ذلك سبيلاً.
روى ان سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت: بقيت الشاة التى لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة زمان عمربن الخطاب رضى الله عنه، وكنا نحلبها كلها صبوحا وغبوقا وما فى الأرض قليل ولاكثير.
لما يئس الكفار من الظفر برسول الله عليه وصاحبه جعلوا لمن يأتى به أو لصاحبه مائة ناقة عن كل واحد، سواء جاء به قتيلاً أو أسيراً. . يقول سراقة بن مالك: بينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومى أقبل رجل منهم قال: يا سراقة. إنى قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمد وأصحابه.
فأومأت إليه بعينى أن اسكت فسكت، ثم قلت له: إنهم ليسوا فيهم، ثم لبثت فى المجلس ثم قمت فدخلت بيتى فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهي من وراء أكمة فتحبسها على، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهرالبيت حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى منهم فلما دنوت منهم عثرت بى فرسى فتخليت عنها ووضعت يدي على كنانتى فاستخرجت منها الأزلام، وكنت أرجو أن أرد محمدا ومن معه فآخذ المائة ناقة. فركبت فرسى وتعقبتهم حتى إذا سمعت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسى فى الأرض، حتى بلغت الركبتين فخررت عنها: ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها حتى استوت قائمة وإذا نورساطع فى السما ء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره ألا أضرهم – فعرفتح ين رأيت ذلك أنه قد منع منى وأنه ظاهر، فناديتهم بالأمان قلت: انظرونى فوالله لا آذيتكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر: قل له وما تبغى منا ؟ فقلت: إن قومك قد جعلوا فيكما الدية وأخبرتهما أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يسألانى شيئاً إلا أن قال: اخف عنا. فسألته أن يكتب لى كتاب موادعة آمن به فقال: اكتب له يا أبا بكرثم مضى رسول الله ٠٠
ورجع سراقة بن مالك إلى أصحابه،فلما رجع قال لقريش: قد عرفتم بصرى بالطريق، وقد استبرأت لكم فلم أر شيئاً.
عن قيس بن النعمان قال: لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين مروا بعبد يرعى غنما ، فاستسقياه اللبن فقال: ما عندى شاة

تحلب لقد حملت أول الشتاء وقد أخرجت (أى ولدت مولودا ناقصا) وما بقى لها من لبن.
فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم قسم ضرعها حتى أنزلت، ودعا أبو بكر بإناء، فحلب وسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعى، ثم حلب فشرب فقال الراعى:
من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو تراك تكتم على حتى أخبرك؟ فقال الراعى: نعم
فقال له رسول الله ٠: فإنى محمد رسول الله
قال الراعى: أنت الذى تزعم قريش أنك صابىء
قال الرسول ٠ : إنهم ليقولون ذلك
أشهد أنك نبى الله. . وأشهد أن ما جئت به حق. . وأنه لا يفعل ما فعل إلا نبى، ولما شارف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبو عبد الله بريدة بن الحصيب الأسلمى فى سبعين من قومه من بنى سهم فقال نبى اله ٠ : من أنت؟ قال: بريدة
فقال لأبى بكر: برد أمرنا وصلح ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : من أى قبيلة؟ قال: من أسلم. فقال النبى لأبى بكر: سلمنا..
ثم قال : من بنى من؟ قال: من بنى سهم.. قال: خرج سهمك يا أبابكر فقال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم : من أنت؟
قال: أنا محمد بن عبدالله رسول الله. فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا فقال بريدة: الحمد لله الذى أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين. . فلما أصبح قال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء. وحل بريدة عمامته ثم شدها فى رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة.
لما سمع المسلمون بالمدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من مكة وترقبوا قدومه كانوا يخرجون إذا صلوا الصبح إلى ظاهر الحرة ينتظرونه حتى تغلبهم الشمس على الظلال ويؤذيهم حر الظهيرة ثم يعودون، حتى كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت. . إذ صعد رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرخ بأعلى صوته:
يا بنى قيلة.. هذا صاحبكم قد جاء. هذا حبركم الذى تنتظرونه.
عندئذ بادر الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون فرحا بقدومه ومضوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة والتفوا من حوله وسار بهم حتى نزل بقباء من بنى عمرو بن عوف فنزل على كلثوم بن الهدم.

مسجد قباء

عندما نذكر قباء يتبادر إلى الذهن على الفور مسجد قباء وهو أول مسجد أسس فى الإسلام وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلثوم بن الهدم: وهو الذى نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قباء مربد (المربد هو المدفع الذى يبسط فيه التمر ليجف).
فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المربد من كلثوم بن الهدم فأسسه وبناه مسجداً ولكن ما الحكمة من اختيار المربد لكى يبنى عليه مسجد ؟
روى الطبرانى عن جابر بن سمرة قوله: لما سأل أهل قباء النبى ٠ أن يبنى لهم مسجداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليقم بعضكم فيركب الناقة.. فقا م أبو بكر رضى الله عنه فركبها فحركها فلم تنبعث فرجع فقعد فقام عمر رضى الله عنه فركبها فلم تنبعث فرجع فقعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ليقم بعضكم فيركب الناقة فقام على رضى الله عنه، فلما وضع رجله فى غرز الركاب وثبت به قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارخ زمامها وابنوا على مدارها
ويقول جابر بن سمرة: إن عليا هو الذى ركب الناقة فى قباء والبعض يتعجب من ذلك ويقول: كيف؟ وعلى قد تخلف بمكة ولم يهاجر مع الرسول صلى الله عليه وسلم .
تقول كتب السيرة: لقدأقام على بمكة بعد خروج رسول الله بمكه منها بضعة أيام قد تكون ثلاثة حتى أدى للناس ودائعهم التى كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتم ذلك خرج على رضى الله عنه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ونزل على كلثوم بن الهدم وتقول الشموس بنت النعمان رضى الله عنها وهى من المبايعات وقد حضرت مع النبى صلى الله عليه وسلم حين أسس مسجد قباء:
نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد.. فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر (أى يجذبه إليه) وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سرته فيأتى الرجل من أصحابه ويقول: يا رسول الله بأبى أنت وبأمى أعطنى أكفك.. فيقول عليه الصلاة والسلام: لا خذ مثله حتى أسسه.
وكان عبد الله بن رواحة يقول وهم يبنون المسجد : أفلح من يعمر المساجد . فيقول عليه الصلاة والسلام المساجد ثم يقول عبد الله ويقرأ القرآن قائما وقاعدا . فيقول عليه الصلاة والسلام: وقاعدا ثم يقول عبدالله: ولا يبيت الليل عنه راقداً فيقوله: راقداً.
البعض يعتقد أن تحويل القبلة تم والمسلمون يصلون فى قباء. .

ولقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستقبل بيت المقدس حتى نسخ ذلك وعند صلاة الصبح وكانت وجوه المسلمين متجهة صوب الشام أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر تحويل القبلة فاستداروا إلى الكعبة..
لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المدينة أرسل إلى بنى النجار وكانوا أخواله فجاءوا متقلدين السيوف ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم براحلته وحشد المسلمون ولبسوا السلاح وركب رسول الله ناقته القصواء والناس به عن يمينه وعن شماله ومن خلفه منهم الماشى ومنهم الراكب فاجتمعت بنو عمرو بن عوف. وقال أحدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أخرجت قلاً لنا أم تريد داراً خيراً من دارنا ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أمرت بقرية تأكل القرى فحلوها يقصد ناقته فإنها مأمورة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء يريد المدينة فتلقاه الناس فخرجوا فى الطرق وصار الناس
يقولون: الله أكبر جاء نا رسول الله، جاء نا محمد رسول الله: ثم أنشد الجموع: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جثت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع.
ومضى ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشق طريقه بين جموع المسلمين من الأنصار ومن أهل المدينة وحيث التهليل والتكبير. . وما مر على دار من دور الأنصار إلا قالوا له: هلم يا رسول الله إلى العز والثروة فيقول صلى الله عليه وسلم: إنها مأمورة خلوا سبيلها. . ومر ببنى سالم فقام إليه عتبان بن مالك وقال له وهو آخذ بزمام راحلته:
يا رسول الله انزل فينا فإن فينا العدد والعشيرة والحلقة ونحن أصحاب الفضاء والحدائق والدرك يارسول الله قد كان الرجل من العرب يدخل هذه البحرة (يعنى المدينة) خائفا فيلجأ إلينا فنقول له قوقل حيث شئت (أى ادخل حيث شئت) فجعل رسول الله يبتسم ويقول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.. فقام إليه عبادة بن الصامت وعباس بن نضلة بن العجلان فجعلا يقولان: يا رسول الله انزل فينا
فيقول النبى صلى الله عليه وسلم: بارك الله عليكم إنها مأمورة..
ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين الطريق فلما رآه عبدالله بن أبى وهو يومئذ سيد الخزرج قال له: اذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم.
فقال سعد بن عبادة: لا تجد يا رسول الله فى نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه علينا فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاك شرق بذلك ولكن هذه دارى.
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى ساعدة فقال له سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دمانة: هلم يا رسول الله إلى العز والثروة والقوة والجلد - ويقول سعد بن عباد : يا رسول الله ليس من قومى رجل أكثر نخلاً ولا

فم بئر منى مع الثروة والجلد والعده فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا ثابت خل سبيلها فإنها مأمورة. ومضى عليه الصلاة والسلام فاعترضه سعد بن الربيع وعبدالله بن رواحة وبشير بن سعد فقالوا:
يا رسول الله لا تجاوزنا إنا أهل عدد وثروة وحلقة.
فيقول عليه الصلاة والسلام: بارك الله فيكم خلوا سبيلها فإنها مأمورة
واعترضه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو من بنى بياضة فقالا:
يا رسول الله هلم إلى المواساة والعز والثروة والعدد والقوة نحن أهل الدرك يا رسول الله.
فيقول عليه الصلاة والسلام: خلوا سبيلها فإنها مأمورة ثم مر ببنى عدى بن النجار وهم أخواله فقام أبو سليط وصرمة بن أبى أنس فى قومهما فقالا: يا رسول الله نحن أخوالك هلم إلى العدد والمنعة والقوة مع القرابة ولا تجاوزنا إلى غيرنا يا رسول الله ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا بك.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة..
وسار حتى أتت دار بنى عدى بن النجار. .
لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دار عدى بن النجار قامت إليه وجوههم فمضى وهو راكب ناقته فلما وصلت الناقة إلى موقع مسجده صلى الله عليه وسلم بركت وهو عليها ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه والتصقت به وأرزمت (أى أحدثت صوتا) وجعل جبار بن صخر ينخسها عسى أن تقوم فتنزل فى دار ابن سلمة فلم تفعل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال: هنا المنزل إن شاء الله وأوى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الظل فأتاه أبو أيوب الأنصارى وقال: يا رسول الله منزلى أقرب المنازل فانقل رحلك.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم فذهب برحله إلى المنزل فأتاه آخر فقال: يا رسول الله انزل على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع رحله حيث كان فمضت مثلأ. ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب ونزل معه زيد بن حارثة وما أن استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب حتى خرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن:
نحن جوارمن بنى النجار   يا حبذا محمد من جار
ويقول أبو أيوب الأنصارى: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو
فقلت له: يا نبى الله بأبى أنت وأمى إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت وكن فى العلو وننزل نحن فى السفل فقال صلى الله عليه وسلم: ارفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فِى سفله وكنا فوقه فى المسكن، ولقد انكسر إناء لنا فيه

ماء. فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء خوف أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه.
وقد ذكر أن أبا أيوب لم يزل يتضرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحول عليه الصلاة والسلام إلى العلو وأبو أيوب في السفل.
ويمضى أبو أيوب فيقول عن النبى عليه الصلاة والسلام: كنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة.
قيل لأم أيوب: أى الطعام كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم عرفتم ذلك لمقامه عندكم فقالت:
ما رأيته أمر بطعام فصنع له بعينه ولا رأيناه أتى بطعام فعابه، وكنا نعمل له الهريس وكانت تعجبه وكان يحضر عشاءه خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام فى الكثرة والقلة.
ويقول ابن إسحق:
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن مع ابنها أسامة بن زيد وخرج عبدالله بن أبى بكر بعيال أبى بكر وفيهم عائشة وأختها أسماء زوج الزبير وأم رومان أم عائشة فلما قدموا المدينة أنزلوا فى بيت حارثة النعمان. .
وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس ولقد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان يدعو ويقول: اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقا حسنا وكان يقول أيضاً: اللهم أحبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة.
لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجده فى المدينة، أرسل إلى بنى النجارفقال: يا بنى النجارثامنونى بحائطكم هذا.
فقالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا من الله. وكان موضع المسجد مربدا ليتيمين هما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبى عمرو، فدعا بالغلامين وساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً.. فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا.
عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فقرب اللبن وما يحتاجون إليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلموبوضع ردائه ـ فلما رأى ذلك المهاجرون الأولون والأنصار ألقوا أرديتهم وأكسيتهم وجعلوا ويعملون ويقولون:
لئن قعدنا والنبى يعمل ذاك إذن للعمل لمضلل
مما يروى فى قصة بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من عثمان بن مظعون، وكيف كان رجلاً مرفها يخاف على ثيابه من أن ينالها غبار

اللبن وهو يحمله مشاركة فى بناء المسجد فكان يحمل اللبنة فيبعدها عن ثوبه، فإذا وضعها نفض كمه ونظر إلى ثوبه. . فإذا أصابه شىء من التراب نفضه. وقد لفت ذلك نظر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنظر إليه وأنشد يقول:
لا يستوى من يعمر المساجد   يدأب فيها قائماً وقاعداً
ومن يرى من الغبار حائرا
فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها وهو لا يدرى من يعنى بها، فمر بعثمان بن مظعون فقال له عثمان وبيده عصا: يا ابن سمية، ما أعرفنى بمن تعرض - لتكفن أو لأعترضن بها وجهك.
سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب لذلك فكف الناس عن عمار..
ثم قالوا لعمار: يا عمار إن النبى صلى الله عليه وسلم قد غضب منك ونخاف أن ينزل فينا قرآنه.. فقال عمار:
أنا أرضيه كما غضب
فتوجه عمار إلى رسول الله اب وقال:
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لى ولأصحابك؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك ولهم.
فقال عمار: يريدون قتلى، يحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين لبنتين.
فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد عمار وطاف به المسجد وجعل يمسح رأسه بيديه من التراب ويقول:
" يا ابن سمية، للناس اجر، ولك اجران، ليسوا بالذين يقتلونك، تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار".
فيقول عمار: أعوذ بالله من الفتن
روى يحيى بن الحسن عن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - عن أبيه قال:
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه حجر فلقيه أسيد بن حضير فقال: يا رسول الله: أعطينيه. . أعطينيه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب فاحتمل غيره فإنك لست بأفقر إلى الله منى.
وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البنا ء قريبة الفناء، وكانت مبنية من جريد عليه طين، وبعضها من حجارة مرصوصة، وسقفها كلها من جريد.
وكذلك كان مسجده صلى الله عليه وسلم فقد كان مبنياً من اللبن وسقفه بالجريد وعمده من خشب النخل.

الأذان

حدث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة إنما كان يجمع الناس للصلاة بغير دعوة فلما كثر الناس اهتم النبى صلى الله عليه وسلم: كيف يجمع الناس للصلاة فاستشار الناس فقيل له: يا رسول الله انصب راية عند حضور الصلاة إذا رأوها أعلم بعضهم بعضا أو فاستخدم البوق يا رسول الله
فقال عليه الصلاة والسلام: هو من أمر اليهود قيل: إذن يا رسول الله فلنستخدم الناقوس فقال عليه الصلاة والسلام: هو من أمر النصارى قالوا : ماذا لو رفعنا نارا يا رسول الله فقا لعيد: ذلك للمجوس
عندئذ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فناد بالصلاة
وانصرف عبدالله بن زيد وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فارى الأذان فى منامه وفى ذلك يقول عبدالله بن زيد: طاف بى وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت له: يا عبدالله اتبع هذا الناقوس؟
قال: وما تصنع به؟
قلت: ندعو به إلى الصلاة فقال:
تقول: الله أكبر الله أكبر أشهد ألا إله إلا الله أشهد ألا إله إلا الله . أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا لله
فقام علي المسجد فأذن ثم استأخر عنى غير بعيد. ثم قال:
تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر الله أكبرأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا لله.
فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت. . ولولا أن يقول الناس لقلت إنى كنت يقظان غير نائم.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى لقد أراك الله خيرا فمر بلالأ فليؤذن فإنه أندى منك صوتاً فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به فسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فخرج يجر رداءه وهو يقول: والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل الذى رأى.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: ما منعك أن تخبرنى؟ فقال عمر: سبقنى عبدالله بن زيد فاستحييت. فقال عليه الصلاة والسلام: فلله الحمد"

روى مسلم عن سهيل بن أبى صالح قال: أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا فنادى مناد من حائط باسمه فأشرف الغلام على الحائط فلم ير شيئا فذكرت ذلك لأبى فقال:
لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكنى سمعت صوتا ينادى للصلاة فإنى سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الشيطان إذا نودى بالصلاة ولى وله حصاص والحصاص هو شدة العدو وجدته" وروى البيهقى عن عمر بن الخطاب أنه قال: إذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فإن ذلك لا يضره.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على أن يؤاخى بين أصحابه وقد كانت المؤاخاة مرتين الأولى بين المهاجرين بعضهم بعضا قبل الهجرة على الحق والمواساة.. والثانية فى المدينة بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام.

المؤاخاة الاولى

كانت امؤاخاة التى تمت قبل الهجرة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق والمواساة وقد آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين أبى بكر وعمر وبين حمزة وزيد بن حارثة. يقول زيد بن حارثة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينى وبين حمزة بن عبدالمطلب وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف وبين الزبير بن العوام وابن مسعود وبين عبيدة بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص وبين عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة وبين سعد بن أبى زيد وطلحة ابن عبيد الله وبين على بن أبى طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم.
ويقول ابن عمر رضى الله عنهما : آخى رسول الله بيني بين أصحابه حتى بقى على رضى الله عنه تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى يا رسول الله رضيت قال: فأنت أخى فى الدنيا والآخرة.

المؤاخاة الثانية

أما المؤاخاة الثانية فبقد كات بالمدينة بعد الهجرة وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة وأن يتوارثوا بعد الممات. دون ذوى الأرحام، وفى ذلك يقول أنس بن مالك رضى الله عنه:

قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بدلاً فى كثير لقد كفونا المؤونة وأشركونا فى المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجركله.
ولقد أحكم الله تعالى فى القرآن الكريم ذلك العقد الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فى قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74)" (سورة الأنفال) وبموجب ذلك يتوارث الذين آخوا دون من كان مقيما فى مكة من ذوى الأرحام والقرابات ومكث الناس على ذلك العقد ما شاء الله، فلما كان بعد بدر أنزل الله تعالى قوله:

" وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75)" (سورة الأنفال)
وهنا انقطعت المؤاخاة فى الميراث ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه وبلغ حب من آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم بعضا أن عرض الواحد منهم على أخيه أن يناصفه أهله وماله يقول أنس رضى الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع فعرض سعد على عبدالرحمن أن يناصفه أهله وماله وقال سعد: أنا أكثر أهل المدينة مالا فأقسم لك نصف مالى وانظر أى زوجتى هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجتها.
فقال عبدالرحمن. بارك الله عز وجل لك فى أهلك ومالك.
عندما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كان بها رجل يدعى الحصين بن سلام بن الحارث وقد أسلم على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير اسمه الرسول من الحصين إلى عبدالله بن سلام بن الحارث وهو رجل من ذرية سيدنا يوسف عليه السلام وكان يهوديا ثم أصبح أنصارياً ويروى عبدالله بن سلام قصة إسلامه فيقول: لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت صفته واسمه وهيأته وزمانه الذى كنا نتوقعه وكنت مسراً بذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما قدم نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا فى رأس نخلة

لى، أعمل فيها وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت فقلت لها أى عمة: إنه أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به موسى قالت عمتى: يا ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر بأنه سيبعث؟
قلت: نعم
قالت: فذاك إذن ويضيف عبدالله بن سلام: فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب فكان أول شىء سمعته يقول: أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام.
وأسلم عبدالله بن سلام وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.. ثم رجع إلى أهل بيته فأمرهم فأسلموا وكتم إسلامه ثم خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن اليهود قد علمت أنى سيدهم واني سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم وانهم قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني وقالوا في ما ليس في فأحب أن تدخلني بعض بيوتك . وأدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض بيوته وأرسل إلى اليهود فدخلوا عليه فقال: يا معشر يهود يا ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله قد جئتكم بالحق فأسلموا.. فقالوا : ما نعلمه ؟
فقال: أى رجل فيكم الحصين بن سلام ؟
قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا فقال: أرأيتم إن أسلم؟
قالوا. أعاذه الله من ذلك. . فقال: يا ابن سلام أخرج إليهم فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا اله وأشهد أن محمداً رسول الله يا معشر اليهود اتقوا اله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله حقا تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة اسمه وصفته فإنى أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقه وأعرفه فقالوا له: كذبت أنت شرنا وابن شرنا.
فقال عبدالله بن سلام: هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور٠٠
ويقول عبدالله بن سلام: وأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى. . وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث وحسن إسلامها.
عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة وهو متكىء على عسيب إذ مر به نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض:
سلوه عن الروح
وقال آخر: لا تسألوه حتى لا يسمعكم ما تكرهون
فقام إليه رجل يهودى فقال:

يا محمد ما الروح؟ كيف تعذب الروح وهي في الجسد؟
فما زال رسول الله متكئا على العسيب فعلمت أنه يوحى إليه فتأخرت
فلما نزل الوحى قال عليه الصلاة والسلام: " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلأ قليلاً."   (سورة الإسراء)
فقالوا: هكذا نجده فى كتابنا..
فقال يهودى: لقد قلنا لكم لا تسألوه
جاء أحبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له:
يا محمد بلغنا أنك تقول "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً أفعنيتنا أم عنيت قومك؟" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا بل عنيتكم فقالوا :
إنك تتلوالتوراة وفيها تبيان كل شىء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى فى علم الله قليل، وقد أتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم وأنزل الله عز وجل قوله:
"ولوأنما في الأرض من شجرة أقلام والبحريمده من بعده سبعة أبحرما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم . ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير.(سورة لقمان)
مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة البقرة "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من يهود فقال: تعلموا.. والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه (الم ذلك الكتاب) .
فقال يهودى: أنت سمعته ؟
قال حيى: نعم
ومشى حيى بن أخطب فى أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له:
يا محمد يذكر لنا إنك تتلو فيما أنزل عليك الم ذلك الكتاب؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى
قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله؟
قال عليه الصلاة والسلام: نعم
قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبى منهم مدة ملكه وما أجل أمته غيرك؟
فقام حيى بن أخطب وأقبل على من معه فقال لهم:
الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة. أفتدخلون فى دين نبى إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟
ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد هل مع هذا غيره ٠
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم
قالوا: ماذا ؟

قال عليه الصلاة والسلام: الف لام ميم صاد (الأعراف)
قال حيى: هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وستون ومئة.
قال حيى: هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون سنة فهل مع هذا غيره يا محمد ؟
فقال عليه الصلاة والسلام: نعم، ألف لام راء. . (يوسف)
قال حيى: هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومئتا سنة فهل مع هذا غيره يا محمد ؟
فقال عليه الصلاة والسلام: نعم، ألف لام ميم راء
قال حيى: هذه والله أثقل وأطول: الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والرا، مئتان فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة. . لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً.
كان شاس بن قيس شيخاً عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم فمر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فلما أن جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم فقال: لقد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ثم أمر فتى شاباً من اليهود كان معه
فقال له: اذهب إليهم فاجلس معهم ثم أذكر يوم بعاث وما كان فيه وأنشدهم بعض ما كانوا يقولون فيه من الأشعار. . .
ففعل الفتى ذلك وأنشدهم بعض ما قاله أحد الحيين فى حربهم فرد أفراد الحى و الآخر ببعض ما قاله شعراؤهم واحتدم الموقف بينهم حتى تواثب رجلان من الحيين أحدهما أوس بن قيظى من الأوس والآخر جبار بن صخر من الخزرج فقال الأول: إن شئتم جعلناها حربا بيننا
وقال الآخر: موعدكم الظاهرة.. . السلاح السلاح اوالظاهرهى الأرض ذات لحجارة السود] وخرج الفريقان للقتال وأوشكت الأوس والخزرج أن ترتدا إلى ما كانت عليه فى الجاهلية.
بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال:
يا معشر المسلمين الله الله أبدعوة الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر. . وألف به بينكم فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟
وعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد

عدوهم عدو الله شاس بن قيس وأنزل الله تعالى قر :" قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99) "(سورة آل عمران)
وأنزل الله تعالى آيات فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا وكادوا أن يشعلوا نار الفتنة بين الأوس والخزرج كما أراد شاس بن قيس الذى كان من عتاة الكفر يقول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)" آل عمران)
تروى كتب السيرة الكثير من مواقف العنت والمجادلة التى تعرضت لها الدعوة على يد المنافقين واليهود لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لهم بالمرصاد وكان الوحى يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكشف أمرهم ويدحض دعواهم.
لما نزل قول الله تعالى "من ذا الذى بقرض الله قرضا حسناً" دخل أبو بكر الصديق بيت "المدراس" وهو البيت الذى يدرس فيه اليهود ما يتعلق بديانتهم فوجد اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له (فنحاص): وكان من علمائهم وأحبارهم قال له أبو بكر رضى الله عنه:
ويلك يا فنحاص اتق الله عز وجل وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة فقال فنحاص: لعنه الله والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله فقر وإنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغنى، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا غضب أبو بكر من تخرصات فنحاص وتطاوله على الله عز وجل فضرب وجهه ضربة شديدة وقال: والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك أى عدو الله وذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد انظر ما فىعل بى صاحبك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيما إنه زعم أن الله عز وجل فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فأنكر ذلك فنحاص وقال: كلا يا محمد ما قلت ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى قرآنا رد على كذب فنحاص وتصديقا لأبى بكر رضى الله عنه:
"لقد سمع الله قول الذين فالوا إن الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق" (آل عمران)
ونزل فى أبى بكر الصديق وما بلغه فى ذلك من غضب قول الله تعالى:
"ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور " (سورة آل عمران)

جاء رجل من اليهود يقال له مالك بي الصيف ومعه جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحا؟
فنزل قول الله تعالى: " يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153) "(سورة النساء)
وكان مالك بن الصيف حبراً سمينا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أما تجد فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ فغضب مالك وقال: ما أنزل الله على بشر من شىء.
فغضب منه أصحابه وقال له قائلهم: ويحك ولا على موسى؟
قال مالك: والله ما أنزل الله على بشر من شىء
فأنزل الله عز وجل قوله تعالى:
"وماَ قدروا الله حق قدره إذ قالوا ماً أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كليراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولاآباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون"(سورة الأنعام)
روى ابن سعد عن عاشة رضى الله عنها، والواقدى عن أبى سعيد الخدرى، أنه نزل فرض رمضان بعدما فرضت القبلة إلى الكعبة بشهر، وكان ذلك فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم فرضت زكاة المال بعد فرض الصيام.
وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر قبل أن تفرض الزكاة فى الأموال وأن تخرج عن الصغير والكبير، والحر والعبد والذكر والأنثى. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قبل الفطر بيومين، فيأمر بإخراجها قبل أن يغدو إلى المصلى، ويقول: اغنوهم - يعنى المساكين - عن طواف هذا اليوم.
أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة عشر سنين، وكان يضحى فى كل عام.
فكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة عيد الأضحى، اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين، فإذا صلى وخطب يؤتى بأحدهما وهو قائم فى مصلاه فيذبحه هو بيده بالمدية ثم يقول هذا عن أمتى جميعا، من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ. ثم يؤتى بالآخر فيذبحه هو عن نفسه ثم يقول: هذا عن محمد وآل محمد. فيأكل هو وأهله منه ويطعم المساكين.

غزوة بدر

من الأحداث الهامة التى وقعت فى السنة الثانية من الهجرة غزوة بدر العظمى، وكانت بدر أول غزوة خرج فيها الأنصار، وقاتل فيها المسلمون وانتصروا نصرا باهراً مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة عدوهم، وفيها أظهر الله الدين وقويت شوكة المسلمين.
لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوم أبى سفيان من الشام ومعه ثلاثون أو أربعون رجلاً بتجارة قريش، فخرج عليه الصلاة والسلام فى اليوم التاسع من رمضان سنة اثنتين من الهجرة ومعه رجال من المهاجرين والأنصار لاعتراض قافلة قريش، فبلغ أبا سفيان ذلك فبعث إلى أهل مكة يستفزهم لنصرته.
وقدم أبو جهل فى خمسين وتسعمائة رجلاً ولم يتخلف من بطونهم إلا بنو عدى، ولا من أشرافهم إلا أبو لهب فلقد استأجر مكانه العاص بن هشام "الذى قتل فى بدر".
عندما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم الروحاء فى الجنوب الغربى للمدينة، وعلم أن قريشا قد عزمت على الحرب استشار أصحابه فى طلب العير أو حرب قريش، وكانت العير أحب إليهم.
فنزل قول الله تعالى:
" وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم " (سورة الأنفال) فتكلم أبو بكر ثم عمر ثم قال المقداد بن الأسود:
يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ولكن امض ونحن معك عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك.
وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول المقداد وقال: أشيرواعلى أيهارالناس، فقال سعد بن عبادة من الأنصار:

أيا ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه وسر النبى عليه الصلاة والسلام بقوله وقال: أبشروا فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم.
لما علمت قريش أن الحرب لا بد واقعة - سار أبو سفيان بالعير على الساحل ونجا وأشار على قريش بالرجوع، أما أبو جهل فقال:
لا نرجع حتى نرد ماء بدر، ونقيم به ثلاثا، وتهابنا العرب.
وسار أبو جهل حتى تزل بعدوة بدر القصوى وهى الجهة البعيدة عن المدينة وتقع فى أرض سهلة لينة.

وقد نزل المسلمون بالعدوة الدنيا بعيداً عن الماء فى أرض سبخة فأصبحوا عطاشاً وبعضهم جنب فأنزل الله الماء فشربوا وتطهروا وصلحت الأرض وتوحلت أرض العدو. وفى ذلك يقول الله تعالى:
" وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام "(سورة الأنفال)
ثم نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فوجدها مقبلة.
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش وقال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض. وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يديه سقط رداؤه.
ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر فى عرش بنى لهما، وقبل أن تقوم الحرب خرج من قريش الأسود بن عبد الأسود فقتله حمزة رضى الله عنه. ثم برز من العدو عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة فخرج إليهم عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبدالله بن رواحة فقال قائل قريش: من أنتم؟
قال عوف: رهط من الأنصار.
قال عتبة: إنما نريد كفاءنا من قريش.
وكأنهم يريدون أن يقاتلوا المهاجرين فأخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة، وعلى بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث. فقتل حمزة شيبة، وقتل على الوليد، ثم قتلا عتبة، ثم احتملا عبيدة وقد قطعت رجله فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالشهادة ثم مات رضى الله عنه. واحتدم القتال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم محرضا على القتال، وأخذ حفنة من الحصباء رمى بها قريشا وقال: شاهت الوجوه ثم قال لأصحابه: شدوا عليهم. وانتصر المسلمون وهزموا قريشا وقتلوا سبعين منهم. وأسروا سبعين.
وكان من القتلى أمية بن خلف والجراح، ولقد قتله ابنه أبو عبيدة.
وكان من الأسرى العباس وعقيل بن أبى طالب وغيرهم.
وكان عدد شهداء المسلمين أربعة عشر، ستة من المهاجرين منهم عمير بن أبى وقاص، وثمانية من الأنصار منهم ابنا عفراء الخزرجيان، وسعد بن خثيمة الأوسى وقد أمر رسول الله علهه بدفن شهداء المسلمين، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقذف أربعة وعشرين من صناديد قريش فى بئر بدر ودفن الباقى.
عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وفى اليوم التالى جىء بالأسرى ففرقهم بين الصحابة وقال لهم: استوصوا بهم خيراً.
هذا هوخلق الإسلام.. الرسول صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه فيهم. وهذا تأكيد لمبدأ الشورى فى الإسلام.

وجا ء رأى أبو بكر رضى الله عنه مناسبا لما عرف عنه من سماحة وطيبة فقد قال للرسول : استبقهم يا رسول الله وخذ منهم الفداء.
أما عمر بن الخطاب وهو الرجل الشديد القوى رضى الله عنه فقد قال: قتلهم يا رسول الله نضرب أعناقهم.
وكان على الرسول إذن أن يختار بين أحد الرأيين.
ولقد كان رسول الله ي أميل إلى رأى أبى بكر، فقال عليه الصلاة والسلام لأبى بكر: مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: فمن تبعنى فإنه منى، ومن عصانى فإنك غفور رحيم "ومثل عيسى قال" إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الرحيم.
وقال لعمر: مثلك يا عمر مثل نوح قال "رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً " ومثل موسى قال: "ربنا إطمس علي أموالهم واشدد على قلوبهم".
إذن فقد أخذ النبى صلى الله عليه وسلم برأى أبى بكر وأخذ من الأسرى الفداء.. لكن الله تبارك وتعالى عاتب النبى ٠ ونزل قوله تعالى:
و ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرص تريدون عرض الدنياً والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيماً أخذتم عذاب غظيم . فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم "(سورة الأنفال)
وفى غزوة بدر كان عدد المشركين أكبر من عدد المسلمين. وكان المشركون أكثر عدة وعتاداً من المسلمين. ومع ذلك انتصر المسلمون.
لقد نصر اله المؤمنين بقوة إيمانهم وصلابتهم، وبما أمدهم به من الملائكة يقاتلون معهم، وفى ذلك يقول المولى عز وجل:
" ولقد نصركم الله يبدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلانة آلاف من الملانكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وماا النصرإلا من عندالله العزيزالحكيم "(سورة آل عمران) هذه الآيات جاءت فى سورة آل عمران وثمة آيات أخرى فى سورة الأنفال منها قوله " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) "سورة الأنفال"
ويقول أيضاً: " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) " سورة الأنفال .
قتل عدو الله أبو جهل فى معركة بدر.
وعن مقتله يقول عبدالرحمن بن عوف:
بينما أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهم (أي أعمارهم)فغمزي أحدهما فقال: ياعم هل

تعرف أبا جهل؟
قلت: نعم . ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟
قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا.
قال عبدالرحمن بن عوف: تعجبت لذلك، فغمزنى الغلام الآخر فقال لى مثلها، فلم ألبث أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس، فقلت:
ألا إن هذا صاحبكما الذى سألتمانى.
فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه.
ولكن من هما هذان الغلامان اللذان قتلا الرجل؟
قيل: إن أحدهما معاذ بن عمرو بن الجموح وقد قطع رجل أبى جهل وصرعه، أما الثانى فهو معاذ بن عفراء وقد ضربه وما زال به رمق، ثم أتاه عبدالله بن مسعود فاجتز رأسه.
يقول عبدالله بن مسعود :
وضعت رجلى على عنقه فقلت: أخزاك الله يا عدو الله. ثم اجتززت رأسه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: هذا رأس عدوالله أبى جهل.
فقال عليه الصلاة والسلام: متسائلأ والله الذى لا إله إلا هو؟ فحلفت له، فأخذ بيدى ثم انطلق حتى أتاه فقام عنده فقال الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله.
ثلاث مرات
وفى السنة الثانية من الهجرة تزوج على بن أبى طالب فاطمة بنت رسول الله عيله وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على.
وتوالت بعد بدر غزوات المسلمين وسراياهم، ومنها غزوة بنى قينقاع وغزوة السويق وسرية محمد بن مسلمة، وجاءت السنة الثالثة من الهجرة وفيها وقعت غزوة "نجد" وغزوة "نجران" وسرية زيد بن حارثة. ثم وقعت غزوة أحد وكانت يوم السبت فى النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة بالاتفاق.

غزوة أحد

وتستوقفنا غزوة أحد. فإن فيها الكثير من الدروس والعبر.
لقد أرادت قريش أن تثأر لهزيمتها فى غزوة بدر، فاجتمعت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب العباس بن عبدالمطلب كتابا يخبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم.
فكانت قريش إذن هى البادئة.

وقد سار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادى من قبل أحد فى مواجهة المدينة، وكان رجال المسلمين قد أسفوا على ما فاتهم من شهود معركة بدر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرى فى منامه رؤيا أحب لأجلها المكوث فى المدينة وقال لأصحابه: امكثوا، فإنه إن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت. فقال له القوم:
يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم.
وصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك. ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته، ثم خرج، وقد لبس لأمته وتقلد سيفه وقال: ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.
عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ألوية، لواء للمهاجرين بيد على بن أبى طالب كرم الله وجهه. واللواء الثانى للخزرج بيد الحباب بن المنذر.
والثالث للأوس بيد أسيد بن حضير رضى الله عنهم جميعا.
وكان المسلمون ألف رجل أما المشركون فكانوا ثلاثة آلاف.
هذا من حيث العدد أما الموقف من حيث العدة والعتاد فقد كان فى المسلمين مائة دارع وفى المشركين سبعمائة دارع بالإضافة إلى مائتى فرس وثلاثة آلاف بعير وكان مع المشركين أيضا خمس عشرة امرأة. وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السحر وخرج أمامه السعدان يعدوان أمامه.
والسعدان هم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما وكانا دارعين.
واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس فى تلك الليلة محمد بن مسلمة. ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باحد.
لكن عبدالله بن أبى كان قد أقفل راجعا من الطريق فى ثلاثمائة ممن تبعه من أهل النفاق ولم يكمل السير نحو أحد. ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، واصطف المسلمون فى أصل أحد، بينما اصطف المشركون بالسبخة، فكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد ولم يكن قد أسلم بعد. وكان على ميسرة خيل المشركين عكرمة بن أبى جهل. وجعل رسول الله جيله على الرماة وكانوا خمسين رجلاً. عبدالله بن جبيروقال لهم: لا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، واحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقبل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا. ووقعت المعركة.
وانتصر المسلمون، وقتل من المشركين عدد كبير وأخذ المسلمون يطاردون المشركين بالسيوف حتى أجلوهم عن مكانهم، ووقعت بهم الهزيمة وولى الكفار لا يلوون على شىء ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون حتى أجهدوهم، واستولوا على ما كان لديهم من الغنائم، لكن الرماة عندما رأوا

انتصار المسلمين واستيلاءهم على الغنائم، نسوا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : الغنيمة الغنيمة. فقال لهم عبداله بن جبير:
أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
فقالوا له: والله لنأتين الناس، فلنصيبن من الغنيمة. فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على ما بقى من الرماة فقتلوهم وأميرهم عبدالله بن جبير. وشدد المشركون حصارهم للمسلمين وقتل حمزة بن عبد المطلب وكان مصعب بن عمير يقاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل، وارتبكت صفوف المسلمين وارتدت طائفة منهم نحو المدينة وتفرق الباقون، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت حتى الكشفوا عنه وثبت معه به أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين منهم أبو بكر الصديق وسبعة من المسلمين سبعون رجلاً فقام أبو سفيان فنادى متسائلاً:
أفى القوم محمد ؟ "ثلاث مرات".
لكن رسول الله ه نهى أصحابه أن يجيبوه. ثم قال أبو سفيان فنادى متسائلاً:
أفى القوم ابن أبى قحافة؟ "ثلاث مرات".
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يجيبوه. ثم قال أبو سفيان فنادى متسائلاً:
أفى القوم ابن الخطاب؟ "ثلاث مرات".
عندئذ رجع أبو سفيان إلى أصحاب ه فقال:
أما هؤلاء قد قتلوا.
فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه فرد عليه قائلاً: كذبت يا عدو الله، إن الذى عددت لأحياء كلهم، وقد بقى لك ما يسؤوك فقال أبوسفيان:
يوم بيوم بدر والحرب سجال.
فقد كانت هزيمة المشركين فى بدر ما زالت غصة فى حلوق المشركين.
ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقى معه من أصحابه صامدين، ورمى عبدالله بن قمئة عليه لعنة الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فشج وجهه وكسرت رباعيته، فأخذ على بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، وجعل الرسول يجفف دمه ويقول: لووقع منه شىء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء، ثم قال عليه الصلاة والسلام: اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون فلا عجب. وتلك هى أخلاق رسول الله عله، يدعو للمشركين بالمغفرة وقد اعتدوا عليه!!
وهو يقول هذا بينما اشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم.
وكان قد قتل من الكفار ثلاثة وعشرون ومنهم أبى بن خلف الذى قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة على أن أبا سفيان لما أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته:
الحرب سجال. يوم بيوم بدر، اعل هبل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: أجبه.
فقال عمر: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان مخاطباً آلهتهم:
أنعمت؟
فقال عمر: لا سواء، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار.
فقال أبو سفيان: إن لنا العزى، ولا عزى لكم.
فقال عليه الصلاة والسلام: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. فلما انصرف أبو سفيان نادى بأعلى صوته.
موعدكم بدر العام القابل.
فقال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه قل: نعم بيننا وبينكم موعد.
ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمزة وقد بقرت بطنه عن كبده وجدع أنفه وأذناه فلم ينظر إلى شىء أوجع لقلبه منه وقال: رحمة الله عليك، فقد كنت فعولاً للخير وصولاً للرحم. وكان ممن مثل به كما مثل بحمزة ابن أخته عبد الله بن جحش، وقد دفن معه فى قبرواحد.
ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى المسلمين قال: أنا شهيد على هؤلا، وما جرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون الدم، والريح ريح المسك.
عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد: جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد وينكلوا عن الحرب - فقال: "أنا أبلغهم عنكم" فأنزل الله تعالى على نبيه: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون "(سورة آل عمران)

غزوة بنى النضير

بعد أن انتهت غزوة أحد، توالت السرايا والغزوات ابان السنة الرابعة من الهجرة، فكانت سرية عاصم بن ثابت إلى الرجيع، وسرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة ثم وقعت غزوة بنى النضير.
وبنوالنضير قبيلة كبيرة من اليهود وسميت الغزوة باسمها.
وكانت فى ربيع الأول سنة أربع من الهجرة.
فقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يستعين ببنى النضير فى دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى فقال له قائلهم:
يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت.
ولكنهم كانوا يضمرون غير ما يقولون، فلقد هموا بإلقاء صخرة عليه، ليقتلوه صلى الله عليه وسلم .
ونهاهم سلام بن مشكم فلم ينتهوا فقال لهم:
لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم، وإنه لنقض للعهد.
وأتى الرسول الخبر من السماء بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهراً أنه يقضى حاجة، ورجع مسرعا إلى المدينة وتبعه أصحابه فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به، وأمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالمسلمين حتى نزل بهم فحاصرهم اليهود ست ليال فتحصنوا منه بالحصون ، وقذف الله في قلوبهم الرعب . ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن لهم بالخروج - فأذن لهم وتولى إخراجهم محمد بن مسلمة، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم. وحملوا النسا، والصبية ورحلوا على ستمائة بعير حتى لحقوا بخيبر. ووقعت بعد ذلك غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الصغرى.

غزوة بدر الصغرى

نتوقف عند غزوة بدر الصغرى
وهل كانت هذه الغزوة تنفيذاً لموعد أبى سفيان فى نهاية غزوة أحد عندما قال: موعدكم بدر العام القابل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل: نعم بيننا وبينكم موعد.

ففى السنة الرابعة من الهجرة. لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب، ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان - وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رواحة. ولقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ثمانية أيام ينتظرون أبا سفيان، لكن أبا سفيان عاد بالناس من منطقة تسمى عسفان قبل أن يصل إلى بدر.

غزوة الخندق
ولما كان شهر شوال من السنة الرابعة من الهجرة بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحزب قبائل العرب بإغراء من حيى بن أخطب من بنى النضير وآخرين لمهاجمة المدينة فأشار سلمان الفارسى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر خندق شمال المدينة، وهى الجهة التى خاف دخول العدو منها، فحفر المسلمون الخندق وقاسوا فى حفره صعوبات كثيرة واشترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفر اللخندق بيديه الكريمتين.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشارك المسلمين فى حفر الخندق ويكابد معهم وينقل التراب بنفسه حتى وارى الغبار بشرته، وكان يتمثل بقول عبد الله بن رواحة:
والله لولا الله ما اهتدنا. ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقيا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالمسلمين من النصب قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة فأجابه أحد المسلمين بقوله نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا وفى أثناء حفر الخندق وقعت آيات من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول البراء أحد شهود حفر الخندق: حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء فأخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فنشر ثلثها، وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة. ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر، فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، وإنى والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله، فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعا ء فى مكانى الساعة.
فكيف كانت وقائع غزوة الخندق؟
لما تم حفر الخندق أقبلت الأحزاب، فخرج بنو غطفان من الشرق فى ألف رجل، وخرجت قريش وكنانة فى عشرة آلاف يقودهم أبو سفيان، وانضم إليهم

بنو قريظة ناقضين العهد، وخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة آلاف رجل بينهم وبين العدو الخندق.
كان المشركون أكثر عددا من المسلمين.
وكان الفرق بينهم فى العدد كبيرا، وقد ترامى الفريقان بالنبل نيفا وعشرين ليلة اشتد فيها الحصار على المسلمين حتى اضطرب ضعاف الدين وفى ذلك يقول الله تعالى:
" إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً " (الأحزاب)
فماذا يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاء هذا الموقف؟
لقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصالح عيينة بن حصن وهو من قادة غطفان على ثلث ثمارالمدينة، واستشارسعد بن عبادة وسعد بن معاذ فى ذلك، فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك، وهم لا يطمعون منا بتمرة إلا قرى، فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا، والله لا نعطيهم إلا السيف.
وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى سعد بن معاذ.
وعندما أقحم جماعة من العدو خيلهم ناحية الخندق ومنهم عمروبن عبد ود، وكان عمره تسعين سنة، فبارزه على بن أبى طالب فقتله، ومنهم عكرمة بن أبى جهل، فحمل عليه فألقى رمحه وولى منهزما، ومنهم نوفل بن عبد الله المخزومى الذى سقط فى الخندق فقتله على، وأصيب من المسلمين سعد بن معاذ فى أكحله. فقال:
اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة. ودارت المعركة سجالا بين المسلمين والمشركين عند الخندق، وقتل عدد من المشركين وأصيب من المسلمين سعد بن معاذ، ثم جاء من بين جيش العدو نعيم بن مسعود الأشجعى، وقال للنبى صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إنى قد أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى ما شئت.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنت واحد فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة، فتوجه نعيم بن مسعود إلى بنى قريظة وقال لهم: إن العرب إن لم ينصروا ينصرفوا ويتركوكم ومحمداً ، ولا طاقة لكم به، فاتخذوا منهم رهائن كى لا ينصرفوا حتى يناجزوا محمداً وصدقه القوم، ثم توجه إلى قريش وقال لهم: إن اليهود قد ندموا ، وباطنوا محمدا ، ووعدوه أن يأخذوا منكم رهائن ليسلموهم له فيقتلهم.
ثم توجه نعيم بن مسعوه الى غطفان وأخبرهم بمثل ذلك، فلما أصبحوا طلبت العرب من بنى قريظة الخروج للحرب فاعتذروا بالسبت، وأنهم لا يخرجون معهم حتى يأخذوا منهم رهائن، فصدقوا كلام نعيم واقتنعوا بأن حديثه لهم

صادق، فتفرقت كلمة أعداء المسلمين وأصابهم الوهن والخذلان والفرقة.
هكذا نجحت الحيلة التى أشار بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نعيم بن مسعود لأن الحرب خدعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم عندئذ ربه فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.
لقد أرسل الله تعالى عليهم ريحا فى برد شديد، فزلزلتهم، وأسقطت خيامهم، وجالت الخيل فى بعضها، حتى قالوا: النجاة النجاة وقام أبو سفيان فيهم فقال:
يا معشر قريش .. إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، فقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنوقريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك بنا بناء، فارتحلوا فإنى مرتحل.. فارتحلوا ولما سمعت غطفان بما فعلت قريش انهزموا راجعين إلى بلادهم تاركين متاعهم فغنمه المسلمون وانصرفوا منصورين.
وكان نصر المسلمين فى غزوة الخندق أوكما تعرف غزوة الأحزاب فى يوم الأربعاء، لسبع بقين من ذى القعدة سنة أربع من الهجرة.
ولقد إستشهد فى هذه الفترة ستة من الأوس وثلاثة من الخزرج.
وقتل من المشركين ثلاثة، لكن الله تعالى هزمهم شر هزيمة ونصر المسلمين نصراً عزيزاً وتمضى الأيام والسنون، وتتوطد أركان دولة الإسلام، وتبدأ السنة الخامسة من الهجرة، وشهد هذه السنة غزوة دومة الجندل وغزوة بنى المصطلق. وغزوة بنى قريظة وبنوقريظة هم الذين ظاهروا قريشا وأعانوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أجدى ذلك عنهم شيئا وباءوا بغضب من الله ورسوله وفيهم قال الله تعالى: " وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27) "(سورة الأحزاب)
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام، فقال له: قد وضعت السلاح؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم: والله ما وضعناه فقال جبريل عليه السلام: فاخرج إليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإلى أين؟ فقال جبريل: هاهنا وأشارإلى بنى قريظة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى: يا خيل الله اركبي . يا خيل الله اركبي.
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالأ فأذن فى الناس مناديا: من كان سامعاً مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة.

غزوة بنى قريظة

استجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لدعوة جبريل عليه السلام بحرب بنى قريظة وخرج إليهم وكان ذلك لسبع بقين من ذى القعدة فى السنة الخامسة من الهجرة، وتقلد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والدرع وحف به أصحابه وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الخيل والرجالة وكان معه ثلاثة آلاف من المسلمين.
تروى كتب السيرة أن نفراً من المهاجرين والأنصار سبقوا النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة وكان على رأسهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وفيهم أبو قتادة وعن ذلك يتحدث أبو قتادة فيقول: انتهينا إلى بنى قريظة فلما رأونا أيقنوا بالشر وغرز على الراية عند أصل الحصن فاستقبلونا فى صياصيهم يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه وسكتنا وقلنا: السيف بيننا وبينكم، وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة، فنزل قريبا من حصنهم، فلما رآه على رضى الله عنه رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنى أن ألزم اللواء فلزمته، وكره أن يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أذاهم وشتمهم، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لا عليك ألا تدنوا من هؤلاء الأخابيث، فإن الله تعالى كافيك اليهود فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تأمرنى بالرجوع؟ فكتمه على ما سمع، فقال له الرسول: أظنك سمعت منهم لى أذى، فقال على: نعم يا رسول الله فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا. . وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وتقدمه أسيد بن الحضير وقال لهم:
يا أعدا ء الله . . لا نبرح عن حصنكم حتى تموتوا جوعا، إنما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقال أحدهم: يا ابن الحضير، نحن مواليك دون الخزرج قال: لاعهد بينى وبينكم إلأ ولا ذمة، ودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم فقال: أجيبوا يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ أتشتموننى؟
فجعلوا يحلفون ما فعلنا ويقولون:-
يا أبا القاسم ما كنت جهولا ولا فاحشا، واجتمع المسلمون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشاء، وبعث سعد بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فكان طعامهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ " نعم الطعام التمر" وحاصر المسلمون بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم

الرعب فأرسلوا نباش بن قيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنا نعرض عليك أن ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير من الأموال والحلقة (أى السلاح) ونحقن دماءنا ونخرج من بلادك بالنساء والدرارى، ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة.
أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال نباش: فهل تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل.
وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه عاد نباش إلى قومه بنى قريظة وأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى إلا أن ينزلوا على حكمه، فقام كعب بن أسد وتحدث فى قومه قائلأ:
يا معشر بنى قريظة .. والله قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاثا فخذوا ما شئتم منها.
فتساءلوا : وما هى ؟
قال : نبايع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون به على دمائكم وأموالكم ونسائكم، والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبى، وما منعنا من الدخول معد إلا الحسد للعرب لكن بنى قريظة أبوا هذا الرأى. فقال لهم كعب: إذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراء نا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وأن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء.
فقال رجل من بنى قريظة: أنقتل هؤلاء المساكين؟! فما خير العيش بعدهم فقال كعب ان أسد: فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة.
فاستنكر البعض ذلك وقالوا : أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه المسخ عند ذلك، فقال كعب: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما.
فتصدي لهم عمرو بن سعدي وقال لهم : يا معشر يهود ، إنكم قد حالفتم محمداً على ما حالفتموه عليه، فنقضتم عهده الذى كان بينكم وبينه فلم أدخل فيه، ولم أشرككم فى غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فوالله ما أدرى يقبلها أم لا. فقال واحد منهم: نحن لا نقر للعرب بجرح فى رقاب لنا يأخذونه، القتل خير من ذلك.
عندئذ تبرأ عمرو بن سعدى منهم وخرج فى تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة فقال ابن مسلمة: من هذا ؟
قال: عمرو بن سعدى.
فقال محمد بن مسلمة: مر(أى ادخل) اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام.

وخلى سبيله وخرج حتى أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات به حتى أصبح، فلما أصبح غدا ولم يدر أين هو، فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام: ذإك رجل نجاه الله بوفائه.
واشتد حصار المسلمين لبنى قريظة فلما جهدهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرهم فكتفوا رباطا، وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة ونحوا ناحيته، ثم أخرجوا النسا ء والذرية من الحصون فكانوا ناحية واستعمل عليهم عبدالله بن سلام، وجمعت أمتعتهم وما وجد فى حصونهم من العتاد والأثاث والثياب ..
ووجدوا فيها ألفا وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألفى رمح وألفا وخمسبمائة من التروس، وأثاثا كثيراً وآنية كثيرة وخمرا وجرار سكر ووجد من الجمال النواضح عددا كبيرا ومن الماشية شيئا كثيراً، فجمع هذا كله. وأذعنوا على أن ينزلوا على حكم سعد ابن معاذ سيد الأنصار فيهم.
فقال سعد بن معاذ: إنى أحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه الموسي، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأموال وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ. لقد حكمت فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات:
وتبدأ السنة السادسة من الهجرة وتتوالى الغزوات والسرايا، وفى هذا العام وقعت غزوة الحديبية والحديبية قرية على يعد تسعة أميال من مكة.

غزوة الحديبية

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سار إلى الحديبية قاصدا الغزو وفتح مكة وتروى كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين وأنه دخل البيت.
إذن فقد كان قاصداً العمرة
ولذلك فقد خرجت معه زوجته أم سلمة وخرج معه ألف وأربعمائة من المسلمين بلا سلاح إلا سلاح المسافر. . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم لما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم منها بعمرة ليأمن الناس. .
ويعلموا أنه إنما خرج زائراً للبيت ومعظما له - وانطلقت حناجر المسلمين بالتلبية.
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسر بن سفيان ليكون عينا له، ويعرف أخبار قريش، وهل سيمنعونه من دخول البيت. . فعاد بسر بن سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له:
يا رسول الله إن قريشا قد أجمعوا لك جموعاً وهم مقاتلوك وصادوك عند البيت ومانعوك.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا على أيها الناس، أترون أن أميل إلى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فقال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامراً لهذا البيت لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد فتوجه له، فمن صدك عنه قاتلناه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امضوا على اسم الله وقال: والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. وروى البيهقى عن عروة قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية فزعت قريش لنزوله إليهم، فأحب أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى قريش فقال: يا رسول الله قد عرفت قريش عداوتى لها، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم، ولكنى أدلك على رجل أعز بمكة منى، وأكثر عشيرة وأمنع، عثمان بن عفان. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وقال له: اذهب إلى قريش وأخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عماراً وادعهم إلى الإسلام.
وأتى عثمان أشراف قريش رجلاً رجلاً فجعلوا يردون عليه: إن محمدا لا يدخلها علينا أبداً .. ولما فرغ عثمان من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش قالوا: لا: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف
فقال عثمان: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعت قريش سهيل بن عمرو وقالوا: اذهب إلى محمد فصالحه وأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمروعنده وأمسك المشركون عثمان بن

عفان، فغضب المسلمون وبلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل، فدعا الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة ونادى المنادى: أيها الناس - البيعة البيعة، تنزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله وأقبل المسلمون تحت الشجرة يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع النبى عليه الصلاة والسلام شماله فى يمينه وقال: هذه عن عثمان. ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان - وفى هذه البيعة نزل قول الله تعالى: "ان الذين يبايعونك إنماً يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنماً ينكث على نفسه ومن أوفى بماً عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيماً .(سورة الفتح)
روى عن سهيل بن حنيف قوله: لما قدم عثمان بن عفان من مكة هو ومن معه رجع سهيل بن عمرو ومن معه إلى قريش فأخبروهم بما رأوا من سرعة أصحاب النبى إلى البيعة وتشميرهم للحرب، فاشتد رعبهم وقال أهل الرأى منهم: ليس خير من أن نصالح محمداً على أن ينصرف عنا عامه هذا، ولا يخلص إلى البيت حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب انا قد صددناه، ويرجع قابلا (أى فى العام القادم) فيقيم ثلاثا وينحرهديه وينصرف ويقيم ببلدنا ولا يدخل علينا.
فأجمعت قريش على ذلك واتفقوا على الصلح والموادعة، فبعثوا سهيل بن عمرو وحويطب ومكرز وقالوا لسهيل: إيت محمدا فصالحه وليكن فى صلحك ألا يدخل عامه هذا، فوالله لا يتحدث العرب أنه دخل علينا عنوة.
فأتى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه الرسول قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا وبرك سهيل على ركبتيه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال الكلام حتى وقع الصلح على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين وأن يأمن الناس بعضهم بعضا . وأن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه هذا ، فإذا كان العام المقبل قدم فخلوا بينه وبين مكة، فأقام فيها، وأنه من أتى من قريش محمدا بغير إذن وليه وإن كان من دين محمد رده إلى وليه وأنه من أتى قريشاً ممن اتبع محمداً لم يردوه عليه. . .
ولكن ما الحكمة فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق سهيلاً على هذه الشروط وعلى ألا يأتيه رجل من قريش وإن كان على دين الإسلام إلا رده للمشركين؟
بادئ ذى بدء أقول إن المسلمين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا هذه الشروط وامتعضوا منها وراجعه فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى عبد الله ورسوله ولست أعصيه ولن يضيعنى وهو ناصرى.
ونعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم من الله ما لا يعلمه أصحابه وأنه رأى فى ذلك مصلحة للإسلام والمسلمين فهناك حكمة فى قبول كل هذه الشروط التى وردت فى الصلح، من ثمرات هذا الصلح وفوائده على الإسلام والمسلمين وما حدث من فتح مكة بعد ذلك وإسلام أهلها كلهم ودخول الناس

فى دين الله أفواجا. ولقد كان من نتائج صلح الحديبية أيضا أن اختلط أهل مكة بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة وذهب المسلمون إلى مكة واختلطوا بهم وسمعوا منهم أحوال النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة وحسن سيرته، فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتى بادرخلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم.

ولما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا بعد صلح الحديبية قال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم، ويسألوكم القضية، ويرغبون إليكم فى الأمان. ولقد رأوا منكم ما كرهوا ، وأظفركم الله تعالى عليهم وردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتح. أنسيتم يوم أحد ؟ ؟ إذ تصعدون ولاتلوون على أحد، وأنا أدعوكم فى أخراكم أنسيتم يوم الأحزاب؟ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا!) فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، فهو أعظم الفتوح والله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبالأمور منا.

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة عائدا من الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد مسلما قد أفلت من قومه وسار على قدميه سعيا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش إلى الرسول كتابا مع العامرى ومعه مولى له، تذكره فيه بالصلح الذى بينهم وأن يرد إليهم أبا بصير، فقدما المدينة بعد أبى بصير بثلاثة أيام، وقرأ أبى ابن كعب الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه.

قد عرفت ما شارطناك عليه. وأشهدنا بينك وبيننا من رد من قدم عليك من أصحابنا، فابعث إلينا بصاحبنا.

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه إليهما فقال أبو بصير: يا رسول الله تردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا العذر - فإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا فقال أبو بصير: يا رسول الله، تردنى إلى المشركين؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يا أبا بصير فإن الله سيجعل لك فرجا ومخرجا.

وخرج أبو بصير فهو لا يعصى أمراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لكن المسلمين جعلوا يسيرون إليه ويأمرون بقتل الذين معه. وانتهى به الرجلان اللذان جاءا ليأخذوه إلى قريش بذى الحليفة وبعد أن صلى الظهر كان

معه زاد من تمر فجعل يأكل فيه، ودعا العامرى وصاحبه آن يأكلا معه، وقد علق العامرى سيفه فى الجدار وتحادثا ثم سل العامرى سيفه ثم هزه وقال: لأضربن بسيفى هذا فى الأوس والخزرج يوما إلى الليل
فقال له أبو بصير: أصارم سيفك هذا ؟
قال: نعم
فقال أبو بصير: ناولنيه أنظر إليه إن شئت
فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به ضربة أودت بحياته: وخرج زميله هاربا يعدو نحو المدينة وأبو بصير يجرى وراءه يريد أن يلحق به لكنه وصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى أصحابه - فلما رآه الرسول ٠ قال: ويحك. مالك
فقال: قتل والله صاحبكم صاحبى، وأفلت منه ولم أكد وإنى لمقتول. أغثنى يا محمد فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو بصير متوشحا السيف يا رسول الله قد وفت ذمتك وأدى الله عنك. وقد أسلمتنى بيد العدو. وقد امتنعت بدينى من أن أفتن.
فقال رسول الله ٠: يول أمه مسعر حرب. وهى كلمة ذم تقولها العرب فى المدح. فلما سمع ذلك أبو بصير خشى أن يرده الرسول.
فخرج ومعه خمسة كانوا قد قدموا معه مسلمين من مكة حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدموا شاطئ، البحر. ولما بلغ سهيل بن عمرو وقتل أبو بصير للعامرى اشتد عليه ذلك وقال:
ما صالحنا محمد على هذا
فقالت له قريش: قد برىء محمد منه. فما على محمد فى هذا ؟ فأسند سهيل ظهره إلى الكعبة وقال:
والله لا أؤخر ظهرى حتى يدفع دية. هذا الرجل.
فقال سفيان بن حرب: إن هذا لهو السفه، ما على محمد دية ولا غرم. قد برىء محمد. ما كان على محمد أكثر مما صنع.
وأقام أبو بصير وأصحابه بساحل البحر. وكانوا لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا من فيها. فأرسلت قريش إلى رسول اله صلى الله عليه وسلم يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبى بصير ومن معه وقالوا له: إن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره ومن معه أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم فلا يتعرضون لأحد مر بهم من قريش وقوافلها وقدم كتاب رسول الله قف على أبى بصير وهو يموت فجعل يقرؤه ومات وهو فى يديه.
ما زلنا فى السنة السادسة من الهجرة وفى هذه السنة نزل فرض الحج. وفيها أيضا حرمت المسلمات على المشركين. وكان ذلك تخصيصا لعموم ما تم الاتفاق عليه فى صلح الحديبية من رد أهل مكة إن جاءوا الى النبى ٠ حتى وإن كانوا على دينه، وفى ذلك نزل قول الله تعالى:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)"الممتحنة. وفي هذه السنة أيضا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أعاظم ملوك المشرق والمغرب مزودين بكتب تعرض عليهم اعتناق الإسلام فتلقى المنذر ملك البحرين الرسالة فأسلم كذلك فعل نائبه ملك اليمن وبعث المقوقس ملك مصر بالهدايا الثمينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مارية القبطية التى تزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام أما هرقل امبراطور روما والنجاشى ملك الحبشه فقد رد كل منهما الدعوة برسالة فى غاية التلطف والاحترام.

غزوة خيبر

وتقبل السنة السابعة من الهجرة وفى هذه السنة وقعت غزوة خيبر وخيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع تقع فى الطريق بين المدينة وبلاد الشام .. وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ألف وأربعمائة رجل ومائتا فارس، وكانت معه زوجته أم سلمة .
يقول أنس رضى الله عنه : حين أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى خيبر قال لأبى طلحة: التمسوا إلى غلاماً من غلمانكم يخدمنى فخرج أبو طلحة. ....أنا غلام قد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل خدمته، فسمعته كثيراً ما يقول: اللهم أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال . . ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه: قفوا فوقفوا ثم قال: اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين .. فإنا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر من فيها . اقدموا باسم الله ويمضى أنس فيقول: سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فانتهى إليها ليلاً .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرق قوما بليل لم يغر عليهم حتى يصبح فلما أصبح ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب معه المسلمون وأنا رديف أبى طلحة . , وخرج أهل القرية فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والخميس يعنى (الجيش) ثم أدبروا هاربين .. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم

فساء صباح المنذرين وجاء إلى الرسول الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال.
يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا فإن كان من أمر أمرت به فلا نتكلم .. وإن كان الرأي تكلمنا.
فقال رسول الله ٠: هو الرأى فقال: يا رسول الله دنوت من الحصون ونزلت بين ظهر النخل والنز (النز هو ما يخرج من الأرض من الماء) مع أن أهل المنطقة لنا لى بهم معرفة وهم ليسوا بقوم أبعد مدى سهم منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا ينالنا نبلهم ولا نأمن من بياتهم فتحول يا رسول الله إلى موقع برىء من النز.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشرت بالرأى ولكن نقاتلهم هذا اليوم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد ابن مسلمة وقال له: انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم بريئا من الوبا ء نأمن فيه من بياتهم فطاف محمد بن مسلمة حتى أتى الرجيع وهو واد قرب خيبر ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله وجدت لك منزلاً فقال عليه الصلاة والسلام: على بركة الله.
صف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ووعظهم ونهاهم عن القتال حتى يأذن لهم، يقول جابر رضي الله عنه: إن رسول الله ٠ قال لأصحابه يومئذ: لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله تعالى العافية فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم، فإن لقيتموهم فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تقتلهم أنت. ثم الزموا الأرض جلوسا .. فإذا غشوكم فانهضوا وكبروا .. ويقول ابن إسحق:
وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايات وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سودا، من برد لعائشة رضى الله عنها ولواؤه أبيض دفعه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ودفع راية إلى الحباب ابن المنذر وراية الى سعد بن عبادة وأذن رسول االله صلى الله عليه وسلم فى القتال وحثهم على الصبر وقاتل ٠ يومه ذلك أشد القتال ..
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحول بعد إلى الرجيع كما أشار عليه محمد بن مسلمة: فقال له الحباب: يا رسول الله لو تحولت؟
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا وجعلت نبل اليهود المحاصرين في خيبر تخالط المسلمين ةتجاوزهم .
والمسلمون يلتقطون نبلهم ثم يردونها عليهم . . فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول إلى الرجيع وأمر الناس فتحولوا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغدو بالمسلمين على راياتهم حتى فتح الله الحصن عليهم . .
ثم توالى سقوط الحصون، وتستوقفنا فى غزوة خيبر بعض المواقف منها وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه حين دفع إليه الراية . .

وفى ذلك جرى حوار بين رسول الله ٠- وبين على بن أبى طالب فقد قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : اذهب فقاتلهم حتي يفتح الله عليك ولا تلتفت . . فسأله على: يا رسول الله علام أقاتل الناس؟ فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .. فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهـم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله.. فخرج على بالراية وهو يهرول ومضى حتى ركزها تحت الحصن.. فنط يهودى من رأس الحصن وصاح قائلاً:
من أنت؟
فقال له على: على، فقال له اليهودى: غلبتهم والذى أنزل التوراة على موسى. فما رجع على حتى فتح الله تعالى على يديه.
وتستوقفنا أيضا فى غزوة خيبر قصة إسلام العبد الحبشى الأسود .. يروى تلك القصة موسى بن عقبة فيقول: إن عبدا حبشيا لرجل من أهل خيبر كان يرعى غنما لهم. فلما رآهم قد أخذوا السلاح واستعدوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم: ماذا تريدون؟
قالوا : نقاتل هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى، فعمد بغنمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه الرسول ماشاء الله أن يكلمه فقال الرجل إلى النبى: ماذا تقول؟ وماذا تدعو إليه؟
فقال رسول الله ٠: أدعوك إلى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وأن لا تعبد إلا الله فقال العبد: وماذا يكون لى إن شهدت بذلك وآمنت بالله تعالى.
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لك الجنة إن آمنت على ذلك فأسلم العبد وقال:
يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم. فقال العبد: يا رسول الله إن هذه الغنم عندى أمانة فكيف بها ؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجها من العسكر وارمها بالحصباء فإن الله عز وجل سيؤدى عنك أمانتك ففعل الرجل وتقدم العبد الأسود إلى الصف فقاتل فأصابه سهم فقتله.. ولم يكن قد صلى له سجدة قط.. فاحتمله المسلمون إلي عسكرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدخلوه الفسطاط.. فأدخلوه ودخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج فقال: لقد حسن إسلام صاحبكم. . . لقد دخلت عليه وإن عنده لزوجتين له من الحور العين.
روى عن أبى موسى الأشعرى قوله: لما بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن خرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى فى ثلاثة وخمسين رجلاً من قومى فركبنا سفينة فألقتنا إلى النجاشى فى الحبشه فوافقنا جعفر

بن أبى طالب وأصحابه عنده فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فكان أناس يقولون لنا : سبقناكم بالهجرة أى أنهم يقولون ذلك لأصحاب السفينة وكان من أصحاب السفينة أسماء بنت عميس وقد دخلت أسماء على حفصة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرة فدخل عمر على حفصة وأسما ء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه ؟ فقالت: أسماء بنت عميس. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة. . نحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فغضبت أسماء وقالت: كلا والله يا عمر كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جياعكم ويعلم جاهلكم وكنا فى دار البعدا البغضاء فى الحبشة وذلك فى الله وفى رسوله وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسأله والله لا أكذب ولا أزيد على ذلك. فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله إن رجالأ يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين.
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يقول ذلك؟ فقالت: إن عمر يقول ذلك فلقد قال لى: سبقناكم بالهجرة ونحن أحق يرسول الله صلى الله عليه وسلم.
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قلت له؟ فذكرت له ما قالته لعمر فقال عليه الصلاة والسلام: ليس بأحق لى منكم له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان
تقول أسماء بنت عميس : ولقد رأيت أبا موسى وأصحابه يأتون أرسالا يسألون عن هذا الحديث وما من الدنيا شيء هم أفرح به ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى.
وعن جابر رضى الله عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وقدم جعفر من الحبشه تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل جبهته ثم قال: والله لا أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟
بعد فتح خيبر رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
يقول أبو موسى الأشعرى: أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون قريبا وهو معكم.
ويقول أبو موسى الأشعرى: وكنت خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. . فقال لى: يا عبد الله. قلت: لبيك يا رسول الله فداك أبى وأمى.
قال: ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة؟
قلت: بلى يا رسول الله فداك أبى وأمى.
قال: لاحول ولا قوة إلا بالله.

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبل أحد قال: هذا جبل يحبنا ونحبه.. اللهم إنى أحرم ما بين لابتى المدينة (جانبى المدينة) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدى العمرة

لما دخل هلال ذى القعدة سنة سبع من الهجرة وهو الشهر الذى صد فيه المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت .. أمر الرسول ٠ أصحابه أن يتجهزوا إلى العمرة ولا يتخلف أحد من شهد الحديبية فلم يتخلف أحد إلا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا فقال رجل من المدينة: يا رسول الله والله ما لنا زاد وما لنا أحد يطعمنا.
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن ينفقوا فى سبيل الله وأن يتصدقوا وألا تكف أيديهم فيهلكوا...
فقال الرجل: يا رسول الله بما نتصدق، وأحدنا لا يجد شيئا ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بما كان ولو بشق تمرة ..
أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب المسجد وسار يلبى والمسلمون معه يلبون وانتهى صلى الله عليه وسلم إلى مر الظهران فبعثت قريش مكرز بن حفص فى نفر من قريش حتى لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا له: والله يا محمد ما عرفت صغيراً ولا كبير بالغرر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر؟ السيوف فى القرب؟
فقال صلى الله عليه وسلم : إنى لا أدخل عليهم بسلاح.
فقال مكرز: هو الذى يعرف البر والوفا ء .. ثم رجع مكرز سريعا إلى مكة بأصحابه فقال للقوم: إن محمداً لا يدخل بسلاح . . وهو على الشرط الذى شرط لكم . .
- يقول ابن عباس رضى الله عنهما :
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة صبيحة الرابع من ذى الحجة . وأمر الرسول بالهدى أمامه حتى حبس بذى طوى ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء وأصحابه محدقون به وقد توشحوا السيوف يلبون: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى وقف على راحلته والمسلمون حوله ثم دخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وكان عبد الله بن رواحة قد أخذ بزمام ناقة الرسول وهو يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله نحن ضربناكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
قد أنزل الرحمن فى تنزيله فى صحف تتلى على رسوله
يا رب إنى مؤمن بقيله إنى رأيت الحق فى قبوله

فلما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول هذا الشعر قال له : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تعالى تقول الشعر؟. فقال روسل الله صلى الله عليه وسلم:
خل عنه يا عمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بن رواحة قل: لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده..
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون:
يقدم غداً قوم وهنتهم الحمى . .ولقوا فيها شدة
فأطلع الله تعالى نبيه على ما قالوا .. فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد إذ اضطجع بردائه . .وأخرج عضده الأيمن . . ثم قال: رحمرالله امرأ أراهم من نفسه قوة وأراهم ما يكرهون وأمر أصحابه أن يهرولوا ثلاثة أشواط ويمشوا بين الركنين ليرى المشركون جلدهم ثم استلم الركن وخرج يهرول وأصحابه معه حتى إذا استلم الركن اليمانى مشى حتى استلم الركن الأسود . . ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط ومشى سائرها ولم يأمرهم الرسول أن يهرولوا الأشواط كلها للإبقاء عليهم فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم إنهم ما يرضون بالمشى وينقزون نقز الظبى ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الركن بمحجنه والمسلمون يشتدون حوله.
ولما قضى رسول الله صلي الله عليه وسلم طوافه فى عمرة القضاء دخل البيت .. فلم يزل فيه حتى أذن بلال بالصبح فوق ظهر الكعبة .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره بذلك فقال عكرمة ابن أبى جهل:
لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول.
عن ابن عباس رضى الله عنه قال: طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند المروة عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر، ثم نحر عند المروة.
ويقول محمد بن عمر: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتين من أصحابه حين طافوا بالبيت وسعوا أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يأجج فيقيمون على السلاح ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا.
بعد أن انقضت الأيام الثلاثة التى قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وفقاً للاتفاق الذى كان قد تم بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قريش وكلت قريش حويطب بن عبد العزي بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى حويطب ومعه سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

فى مجلس من الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة وطلب منه الخروج فغضب سعد بن عبادة وقال: والله لا يخرج منها إلا طائعا راضياً.
فابتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا سعد لا تؤذ قوما زارونا فى رحالنا.. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحيل.. وخلف الرسول أبا رافع ليحمل إليه زوجته ميمونة حين يمسى فأقام أبو رافع حتى أمسى وخرج بميمونة ومن معها.
يقول البراء:لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعته عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب وكانت طفلة صغيرة بمكة وأخذت تنادى: يا عمى يا عمى فتناولها على بن أبى طالب وأخذ بيدها.
وقال لفاطمة رضى الله عنها: دونك ابنة عمك فاختصم فيها زيد وعلى و جعفر وكان زيد وصى حمزة وكان رسول الله ٠ قدآخى بينهما فقال على: أنا أحق بها.. فهى بنت عمى وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين وقال جعفر: أنا أحق بها فهى بنت عمى وخالتها أسماء بنت عميس تحتى.
وقال زيد: بل هى بنت أخى وأنا أحق بها.
فقضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم، فسر جعفر بذلك سروراً عظيما.

فتح مكة

جاءت السنة الثامنة من الهجرة وفيها تم الفتح الأعظم "فتح مكة" الذى أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين و استنقذ به بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من أيدى الكفار والمشركين و خرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتائب الإسلام وجنود الرحمن بعد أن نقضت قريش العهد الذى وقع بالحديبية وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة وأقبل أبو سفيان حتى دخل المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم فأراد أن يجلس على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم فطوته دونه فقال: يا بنية ارغبت بهذا الفراش عنى؟

فقالت له: بل هو فراش الرسول صلى الله عليه وسلم وأنت امرؤ مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان: يا بنية لقد أصابك بعدى شر. ..

فقالت له: بل هدانى الله للإسلام وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها..

فكيف يسقط عنك الدخول فى الإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر؟

فقام من عندها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد

فقال: يا محمد. .. إنى كنت غائباً فى صلح الحديبية فاشدد فى العهد وزدنا فى المدة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلذلك جئت يا أبا سفيان؟

قال: نعم. وأعاد أبو سفيان القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه ورجع أبو سفيان إلى قومه فى مكة فقالوا له: ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة فى المدة ما نأمن به أن يغزونا محمد ؟

قال أبو سفيان: لقد كلمته فوالله ما رد على شيئا وكلمت أبا بكر فلم أجد فيه خيراً ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو.

وقد كلمت عليه أصحابه فما قدرت على شى ء منهم إلا أن علياً لما ضاقت بى الأمور قال: أنت سيد بنى كنانة فأجر بين الناس فناديت بالجوار فقال محمد: أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة!! ولم يزدنى.

فقال رجل من قريش: رضيت بغير رضى وجئت بما لا يغنى عنا ولا عنك شيئا ولعمر الله ما جوارك بجائر وإن أخفارك عليهم لهين ما زاد على من أن تلعب بك تلعبا.

قال أبو سفيان: والله ما وجدت غير ذلك.

ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروج أبى سفيان ما شاء الله أن يمكث ثم قال لعائشة رضى الله عنها : جهزينا واخفى أمرك ثم قال: اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعون بناً إلا فجأة وأمر

رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة أن تقيم بالطرق. .. وكان عمر بن الخطاب يمر عليهم فيقول:
لا تدعوا أحد يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه ولم أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى المسير إليهم وفيه يقول: إن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده فيكم فإن الله تعالى ناصره ووليه وأعطى حاطب الكتاب إلى امرأة كى تبلغه أهل مكة وجعل لها جعلاً وقال لها : اخفيه ما استطعت ولا تمرى على الطريق فإن عليه حرساً، فجعلته المرأة فى رأسها وقفلت عليه قرونها.. وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث فى طلب امرأة حتى أتى منها بالكتاب، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له: يا حاطب ما حملك على هذا ؟
فقال: يا رسول الله إنى مؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أهل ولا عشيرة.. وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه. .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قدصدقكم فقال عمربن الخطاب رضى الله عنه لحاطب: قاتلك الله دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فإن الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يدريك يا عمر أن الله عز وجل اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال:
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فاغرورقت عينا عمر وقال حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال: الله ورسوله أعلم..
لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة أرسل إلى أهل البادية ولكل من حولهم من المسلمين يقول لهم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلاً فى كل ناحية حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
يقول محمد بن عمر: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء بعد العصر لعشر خلون من رمضان ونادى مناديه: من أحب أن يصوم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر.
وصام رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وخرج فى المهاجرين والأنصار وطوائف العرب..
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الناس شق عليهم الصيام فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا بإناء من ماء فوضعه على راحلته يراه الناس وشرب فأفطر وناوله إلى رجل بجواره فشرب.. وكان عدد المسلمين نحو عشرة آلاف رجل.. وبعثت قريش أبا سفيان، وقالوا له: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أمانا فأتى أبو سفيان إلى مر الظهران حيث كان رسول الله عيكه

فرآهم أناس من حرس الرسول فأخذوه ومن معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول محمد بن عمر: لما أذن الصبح أذن العسكر كلهم ففزع أبو سفيان من أذانهم فقال للعباس: ما يصنع هؤلاء؟ قال: الصلاة قال أبو سفيان: كم تصلون؟ قال: خمس صلوات فى اليوم والليلة.. قال أبو سفيان: يا أبا الفضل ما للناس أمروا فى بشىء قال العباس: لا ولكنهم قاموا للصلاة، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة كبر وكبر الناس ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم طاعة.. يا أبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك قال العباس: إنه ليس بملك ولكنها النبوة.
لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال: يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال أبو سفيان: بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك.. إنه لو كان مع الله إله فلا أغنى عنى شيئاً.. لقد استنصرت إلهى.. واستنصرت إلهك. فوالله ما لقيتك من مرة إلا نصرت علي ، فلو كان إلهي محقا وإلهك مبطلا لغلبتك.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟ قال أبو سفيان: بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك! أما هذه فوالله إن فى النفس منها. شيئا حتى الآن فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك. قال أبو سفيان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بأعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد فى قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الأنصار فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم فقاتلت قريش خالدا فقاتلهم فانهزموا.. وقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم. .. وأمر مناديا فنادى: من دخل المسجد فهو آمن.. ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن وجعل أبو سفيان يصيح يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن من وضع السلاح فهو آمن فجعل الناس يقتحمون الدور ويغلقون عليهم ويطرحون السلاح فى الطرق حتى يأخذه المسلمون..
لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكرمه به الله تعالى من فتح مكة وضع رأسه تواضعاً لله حتى أن رأسه لتكاد تمس راحلته شكرا وخضوعا لله تعالى أن أحل له بلده ولم يحله لأحد قبله ولا لأحد بعده ويقول أبو سعيد الخدري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدنى ربى ثم قرأ :

" إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ."(سوره النصر)
ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما وفى يد رسول الله غلية قوس فجعل الرسول كلما مر بصنم منها يشير إليه ويطعن فى عينه ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فما يشير إلى صنم إلا سقط بوجهه ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً على راحلته. .
ويقول الحافظ ابن حجر: اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس لهم على الصفا فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال. ..بايع النساء.
روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن عبد الله بن عبيدة قوله: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت اجتمع له الناس فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: الحمد لله الذى صدق وعده ونصرعبده وهزم الأحزاب وحده يا معشر قريش ماذا تقولون؟... وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيرا ونظن خيراً نبى كريم وأخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنى أقول لكم كما قال أخى يوسف " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " (سورة يوسف ٩٢) اذهبوا فأنتم الطلقاء. . .
فخرجواكأنما نشروا من القبورفدخلوا فى الإسلام ثم قال رسول صلى الله عليه وسلم: ألا وإن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكبرها بآبانها كلكم لآدم وآدم من تراب ثم تلا قوله تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير." (سورة الحجرات) ألا إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرام الله لم تحل لأحد كان قبلى ولن تحل لأحد كائن بعدى ولا يحل لامرأة أن تعطى من مال زوجها، إلا بإذن زوجها والمسلم أخو المسلم والمسلمون إخوة والمسلمون يد واحدة على من سواهم تتكافأ دماؤهم والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذى محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح وأنهاكم عن صيام يومين يوم الأضحى ويوم الفطر، أقول قولى هذا و أستغفر الله لى ولكم.
عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا .
وعن يعلى بن صفوان بن أمية قال:جئت بأبى يوم الفتح فقلت: يا رسول الله بايع أبى على الهجرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أبايعه على الجهاد.. فقد انقضت الهجرة. .. وأعز الله الإسلام والمسلمين بفتح مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا.

نسأل الله تعالى أن يعز الإسلام دائما، ويوحد كلمة المسلمين وينصرهم على أعدائهم وأن ينفعنا بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.